

الكتاب: خلاصة المواجهة
المؤلف: أحمد حسين يعقوب
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مؤلفات المستبصرين
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات: بخط المؤلف : لا يوجد معلومات هوية الكتاب

الباب الأول
المواجهة قبل الهجرة

* الفصل الأول - انتشار نبأ النبوة والولاية.

١ - بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية، تلقى النبي صلى الله عليه وآله أمراً إلهياً بإعلان دعوته رسمياً، فبدأ بالهاشميين أولاً، فجمعهم في بيته وأطلعهم على النبأ العظيم، وعين في هذا الاجتماع - بأمر من ربه - علياً بن أبي طالب ولياً لعهد، وانفض الاجتماع عن إعلان عميد البيت الهاشمي عبد مناف بن عبد المطلب (أبو طالب) قرار البيت الهاشمي بحماية النبي صلى الله عليه وآله وعدم تسليمه. وتمثلت الخطوة الثانية بصعود النبي صلى الله عليه وآله علي الصفا ومناداته بطون قريش الذين كانوا يجتمعون دائماً حول الكعبة، وإعلامه إياهم بنبأ النبوة (١). وبهذا أحيطت بطون قريش وأهل مكة عامة بخبر النبوة والولاية في وقت واحد، وإن كان النبأ العظيم (نبأ النبوة) قد طغى على نبأ الولاية. وقد كان النبي وولي عهده متلازمين طيلة مرحلة الدعوة العلنية في مكة، التي استمرت عشر سنين، كانا يسكنان معا في بيت النبي صلى الله عليه وآله، ويسيران معا، ويصليان معا، بنحو أدى إلى ربط نبوة محمد صلى الله عليه وآله بإمامة علي (ع) في أذهان أهل مكة.

سئل قثم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله دونكم؟ فقال: كان أولنا به لحوقاً، وأشهرنا به لصوقاً (٢).

وقال الإمام علي (ع) واصفاً علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله في تلك الفترة: " كنت أتبعه اتباع

الفصيل أثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه ويأمرني بالاعتداء به، وكنت في حراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما،

أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة " (٣) .
٢ - ونظرا لأهمية ولاية العهد، عمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى توكيدها بنحو متواصل، على امتداد مرحلتي الدعوة والدولة الإسلامية، فصدرت عنه نصوص كثيرة متوالية تثبت إمامة علي (ع) وولايته على المسلمين، فسجل منها النصوص التالية:
* قوله صلى الله عليه وآله لعلي (ع): " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " (٤)

* قوله له أيضا: " أنت ولي كل مؤمن من بعدي " (٥).
* قوله صلى الله عليه وآله للمسلمين: " إن لعلي أكثر من الجارية، إنه وليكم من بعدي " (٦).

* قوله صلى الله عليه وآله: " من يريد أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول عليا بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة " (٧).

* قوله صلى الله عليه وآله أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله " (٨).
* وأخيرا أعلن في حجة الوداع أمام جمع يزيد على مئة ألف مسلم ولاية علي وإمامته للمسلمين من بعده، فقام المسلمون بتهنئة علي (ع) وعلى رأسهم أبو بكر وعمر (٩).

٣ - النبي الكريم صلى الله عليه وآله يتبع ما يوحى إليه من الله عز وجل، " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " (١٠)، " وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى " (١١)،
وعندما

أعلن أن عليا (ع) ولي عهده والخليفة من بعده بمئات النصوص الشرعية، لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وإنما فعله بيانا للتوجيهات الإلهية، بل هناك بعض النصوص يصرح فيها النبي صلى الله عليه وآله بأن ما يبلغه للمسلمين بشأن مكانة علي ومنزلته،

إنما هو وحي من الله عز وجل ومن نماذج ذلك:

* قوله صلى الله عليه وآله: " إن الله أوحى إلي في علي ثلاثا: إنه سيد المسلمين، وإمام المتقين

وقائد الغر المحجلين " (١٢).

* قوله صلى الله عليه وآله: " إن الله عهد إلي في علي عهدا " (١٣).

* قوله صلى الله عليه وآله: " يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن

تضلوا بعدي أبدا؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا علي فأحبه بحبي

وأكرموا بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل " (١٤).

إن النصوص على ولاية علي (ع) من الكثرة بنحو يصعب إنكارها، ومن

الوضوح والصراحة بشكل يصعب تأويلها، فقد وصفه النبي بأنه خليفته،

وأنه ولي المسلمين، وأمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأنه المبين للدين من بعده،

وأن طاعته طاعة النبي، ومعصيته معصية للنبي.... فهي نصوص تشكل

شبكة محكمة وإطارا متينا لإثبات الإمامة، بنحو لا يمكن الخروج عنها دون الخروج

عن الدين نفسه.

وإننا لنجد البعض ممن يضيقون ذرعا بهذه النصوص، يعمدون إلى حذفها

من الكتب إمعانا منهم في التعتيم على الحقيقة، واستغفالا للمسلمين. ففي كتاب

حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ١٠٤ الطبعة الأولى ذكر قول النبي صلى الله عليه

وآله: " إن هذا أخي ووصيي

وخليفتي فيكم "، لكنه حذف من الطبعة الثانية وما بعدها. وفي تفسير الطبري ج ١٩

ص ١٢١ طبعة مصطفى البابي الحلبي استبدلوا قول النبي صلى الله عليه وآله: (إن هذا

أخي ووصيي

وخليفتي) بجملة: (إن هذا أخي وكذا وكذا)، مع أن الطبري نفسه ذكر النص

بكامله أيضا في تاريخه ج ١ ص ٣١٩.

* الفصل الثاني - موقف بطون قريش من نبأ النبوة والولاية.

١ - كانت زعامة مكة قد آلت إلى بطون قبيلة قريش، التي تتألف من ٢٥ بطنا (١٥)، وكان أشرف البطون إطلاقاً أولاد عبد مناف (بنو هاشم، بنو المطلب، بنو عبد شمس، بنو نوفل) (١٦)، وقد تقاسمت هذه البطون مناصب الشرف، فاختص الهاشميون بالسقاية والرفادة، وهو من أخطر المناصب آنذاك وأكثرها كلفة، واختص بنو عبد الدار باللواء، وهو رمز لوحدة قريش، واختص بنو عبد شمس بالقيادة التي آلت إلى أبي سفيان والد معاوية.

٢ - هاشم أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، وفي السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم يطعم الناس ويشبعهم، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف وينهى عن أكل الحرام، ويجالس الملوك، فكثيراً ما دخل على النجاشي وقيصر وأكرمها، مما جعله قائداً فعلياً لمكة، الأمر الذي أثار حسد أمية واعتبره خطراً يهدد حصته في القيادة (١٧).

وخلف هاشم ابنه عبد المطلب الذي كان متخلقاً بأخلاق أبيه، فنهى عن الظلم والبغي، وحث على الوفاء بالنذر، ومنع نكاح المحارم، ونهى عن وأد البنات، وحرّم الخمر والزنا، وكانت رؤياه حقاً، ودعاؤه مستجاباً، وكان يفي بالعقود ولا يظلم ولا يغدر، ويحرم أكل الميتة. (١٨)

كانت تلك الصفات والمرايا العالية تجعل من صاحبها زعيماً وقائداً فعلياً، الأمر الذي أثار حسد البطون ووساوسها، وبدأت تشعر بالقلق من هذا التمييز الهاشمي، وكان أبو سفيان أكثرها قلقاً، وقد سمع خلال أسفاره أن نبيا سوف يظهر من بني عبد مناف، فقدّر أنه ليس فيهم من هو أجدر بالنبوة منه (١٩)، لأنه وارث الحق بالقيادة، فارتاح لهذا الوهم، وترقب أن يصبح نبياً، فیرغم أنوف بني هاشم

بنبوته، ويضع حدا لتمييزهم. (مصدر؟)

٣ - بدأت الإشاعات تتسرب عن النبوة خلال المرحلة السرية للدعوة، وتناهي إلى الأسماع أن (فتى عبد المطلب يكلم من السماء) فاستبعد أبو سفيان وبطون قريش صحة هذه الإشاعات، واستثقلت نفوسهم أن يتبعوا هذا الغلام (٢٠). ولكن سرعان ما تسربت وقائع الاجتماع الهاشمي في بيت النبي صلى الله عليه وآله ونبأ تعيين ولي العهد (٢١)، ليعقب ذلك صعود النبي صلى الله عليه وآله على الصفا، وإعلانه النبوة على الملأ من قريش، ثم يتوجه هو وأصحابه عبر طرق مكة معلنين انتماءهم للدين الجديد (٢٢).

٤ - قدرت بطون قريش عامة وأبو سفيان خاصة أنهم المتضررون من هذا الدين الجديد، وأن النبوة موجهة ضدهم بالذات، وأن غايتها إبدال زعامة البطون بزعامة محمد والهاشميين وحدهم، وهذا ما يعبر عنه جواب أبي جهل حينما سأله أبو شريف: " أترى محمدا يكذب؟ فقال له أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأى شئ يبقى لنا؟ وكان أبو سفيان يقول: " كنا وبني هاشم كفرسي رهان، كلما جاؤوا بشئ جئنا بشئ مقابل، حتى جاء منهم من يدعي بخبر السماء، فأنى نأتيهم بذلك " (٢٣). لقد قدرت البطون خطأ أن تغيير عقيدة الشرك واستبدالها بالعقيدة الإسلامية يستتبع إلغاء الصيغة السياسية السائدة في مكة آنذاك والقائمة على اقتسام مناصب الشرف بين بطون قريش، ويجعلها حكرا للبيت الهاشمي، وفي ذلك إجحاف بحق البطون على حد تعبير عمر بن الخطاب فيما بعد (٢٤).

٥ - كان البطن الأموي بقيادة أبي سفيان أكثر البطون القرشية معاداة للنبي صلى الله عليه وآله وللهاشميين، ذلك لأن دعوة النبي صلى الله عليه وآله تعني فقدان هذا البطن

لمنصب القيادة، وقد شكلت البطون بقيادة أبي سفيان جبهة لمعارضة النبي وآل النبي، واستخدموا كل وسائل المعارضة، وآذوه بكل أنواع الأذى، وصدوا عن سبيل الله بكل أساليب الصد، ثم تأمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله (٢٥)، وشرعوا في

تنفيذ جريمتهم (٢٦)، ولكن الله نجى نبيه. هاجر النبي صلى الله عليه وآله مكرها من مكة إلى المدينة، وكون قاعدة دولته، فقامت بطون قريش بتجيش الجيوش بقيادة البطن الأموي، وحاربت النبي صلى الله عليه وآله بلا هوادة،

طيلة ثمان سنين من أصل عشر سنين (عمر دولة النبي المباركة)، فكانت نتيجة هذه الحروب أن أحاط الله بهم وأمكن نبيه منهم، فدخل مكة فاتحا، ولم يبق أمامهم إلا القتل أو الإسلام، فأسلموا مكرهين بعد أن غلبوا على أمرهم، وعفى النبي الكريم عنهم وسماهم الطلقاء بعد أن تمكن منهم، وقال لهم: (إذهبوا فأنتم الطلقاء) (٢٧).

لقد ألقوا السيوف مكرهين راغمين، ولكنهم ظلوا يعيشون الحقد والحسد على النبي وبني هاشم، ويتحينون الفرصة لإعادة التوازن بين البطون، الذي احتل برأيهم بالنبوة الهاشمية، وأخذوا يعملون في الخفاء لتعديل الترتيبات الإلهية بعد موت النبي صلى الله عليه وآله (٢٨).

* الفصل الثالث: بطون قريش ترفض النبوة.

١ - ما أن أعلن النبي صلى الله عليه وآله نبوته رسمياً، واختياره لولي عهده، حتى وقفت قريش وقفة رجل واحد بقيادة البيت الأموي، وأعلنت رفضها المطلق للنبوة والكتاب وولاية العهد، وصرحت بأنها ستجند كل طاقاتها المادية والمعنوية لصد أهل مكة خاصة والعرب عامة عن اتباع محمد صلى الله عليه وآله والدخول

في دينه، وانقسم المجتمع المكي إلى قسمين (٢٩):

الأول - وهو الأكثر عددا ومددا ظاهرياً، ويتألف من ثلاثة وعشرين

بطناً من بطون قريش ومن والاهم من الموالي والأحابيش.

الثاني - وهو الأقل عدداً، ويتألف من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بطنه الهاشمي

وبطن بني المطلب بن عبد مناف، ومن والى هذين البطنين من الموالي والأحابيش،

مضافاً إليهم الذين اعتنقوا الدين الإسلامي.

٢ - شن القسم الأول حملة نفسية وإعلامية مركزة ومنظمة على محمد

صلى الله عليه وآله والبطن الهاشمي، وعلى الذين آمنوا بالدين الجديد، من أجل عزلهم

والتضييق

عليهم وحملهم على ترك هذا الدين، وأشاعوا الدعايات الكاذبة من أجل تشويه صورة

النبي صلى الله عليه وآله في أذهان الناس، وادعوا أنه - حاشاه - مجنون أو شاعر أو

كاذب

أو كاهن، وأن القرآن الذي جاء به (إن هو إلا أساطير الأولين).

أما النبي صلى الله عليه وآله فقد مضى يبلغ رسالة ربه بإصرار لا يعرف التراجع أو

المساومة، وقال لعمه الذي راجعته بطون قريش ورجته أن يتدخل لدى النبي

صلى الله عليه وآله لكي يتوقف عن دعوته لقاء عروض مغرية: " يا عم، والله لو وضعوا

الشمس

في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك

فيه، ما تركته " (٣٠).

٣ - كان موقف عمادة البطن الهاشمي - المتمثل آنذاك بأبي طالب - مرتبطا ارتباطا وثيقا بموقف النبي صلى الله عليه وآله، فها هو ذا أبو طالب يقول باسم الهاشميين مخاطبا

النبي صلى الله عليه وآله، (يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعوا إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك

بالسلاح) (٣١). وقال له في موقف آخر، (إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا) (٣٢).

وعندما أشيع يوما أن محمدا قد قتل، وضع أبو طالب خطة لقتل كل سادات قريش دفعة واحدة، فلما حضر محمد والفتية الهاشميون على وشك تنفيذ خطة أبي طالب، أعلن أبو طالب تفاصيل خطته، وكشف الفتية الهاشميون عن سلاحهم (٣٣)، فأدركت مشيخة بطون قريش الجد الهاشمي، وأن أي اعتداء على محمد صلى الله عليه وآله من قبل البطون هو بمثابة إعلان حرب لن تضع أوزارها حتى

يفنى الهاشميون والبطون معا.

قررت البطون استعمال كل الوسائل لعزل محمد عن الهاشميين، فإن هم أصروا على عدم التخلي عنه، فلا بد من عزل الهاشميين أنفسهم عن البطون، وفرض محاصرتهم ومقاطعتهم (٣٤)، فإن لم تجد هذه الوسائل تعين على البطون أن تختار رجالا منها يشتركون جميعا في قتل محمد (ص)، فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وإن لم تنجح محاولة القتل، وجب ملاحقة محمد أينما حل، ومحاربتة حتى يتم القضاء التام عليه وعلى دعوته (٣٥).

* الفصل الرابع - المواجهة بين جبهة الإيمان وجبهة الشرك.

١ - أصبحت المواجهة بين النبي صلى الله عليه وآله والهاشميين من جهة وبين بقيه بطون قريش

قدرا محتوما، اتخذت في المرحلة الأولى طابع الحرب الباردة، والمواجهة النفسية والإعلامية،

ذلك أن البطون أدركت أن عملية قتل النبي صلى الله عليه وآله ستكون باهظة التكاليف، وقد لا تنتهي إلا بدمار الطرفين، بل هذا ما صرح به أبو طالب حامي النبي صلى الله عليه وآله إذ قال للبطون: (والله

لو قتلتموه، ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم) (٣٦).

٢ - كان النبي محمد صلى الله عليه وآله هو القائد العام لجبهة الإيمان، وقد استعان بصفوة

من أتباعه ليكونوا أركاناً لقيادته، وهم:

أولا - ولي عهده والإمام من بعده علي بن أبي طالب (ع)، الذي عينه النبي صلى الله عليه وآله بأمر من الله وليا لعهد، وأعلن ذلك مع إعلانه للنبوة، وطلب من الهاشميين

وبني المطلب - وهم العمود الفقري لجبهة الإيمان - أن يسمعوا لعلي ويطيعوه، وكان من بين

الحضور والده أبو طالب (٣٧).

واقترضت حكمة الله تعالى أن يكفل النبي عليا في صغره، ليعيش في كنف النبي صلى الله عليه وآله واحدا من أفراد أسرته (٣٨)، وأن يبقى ملازما للنبي صلى الله عليه وآله لا يفارقه حتى ودع

النبي هذه الدنيا الفانية، وذلك لكي يضعه النبي على عينه ويعدّه لخلافته. أمره النبي صلى الله عليه وآله أن ينام في فراشه ليلة هجرته ليوهم المتآمريين على قتل النبي

أن النائب هو النبي وليس عليا (٣٩)، ويوفر بذلك الوقت الكافي للنبي صلى الله عليه وآله وللأهل للابتعاد عن المشركين

وكلفه أن يؤدي الأمانات إلى أهلها بعده هجرته (٤٠)، وأن يتولى عملية ترحيل عائلة الرسول من مكة إلى المدينة.

في أول معركة بين الكفر والإيمان بعد الهجرة، كلفه النبي صلى الله عليه وآله أن يخرج

مع حمزة وعبيد الله بن الحارث لمبارزة صناديد قريش دفاعا عن الحق (٤١). وفي كل



(٩)

معارك الإيمان مع الشرك، كانت الراية بيد علي (٤٢)، وقد فر الجميع ولم يفر، وتقدم في مواطن عجز الجميع أن يصلوا إليها (٤٣)، وحقق النصر في معارك عجز الجميع عن تحقيقه (٤٤).

وفي حجة الوداع، نصبه النبي صلى الله عليه وآله رسمياً إماماً وولياً للمؤمنين من بعده (٤٥)،

وأمر المؤمنين أن يقدموا له التهاني بذلك، ففعلوا وعلى رأسهم أبو بكر وعمر (٤٦). ثانياً - أبو طالب (عبد مناف بن عبد المطلب)، وهو والد الإمام علي، وعم الرسول الشقيق لوالده، كفل النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة جده، وضمه إلى أولاده،

ورباه في كنفه حتى تزوج فاستقل عنه (٤٧).

وأبو طالب هو الذي شجع الهاشميين والمطلبين على حضور أول اجتماع سياسي في دار النبي، وتصدى لخصومه في ذلك الاجتماع ولجهمهم (٤٨)، وأرسى قواعد تأييد الهاشميين

والمطلبين وحمائهم للنبي صلى الله عليه وآله (٤٩) وأعلن أمام بطون قريش أنها إذا قتلت محمداً فإن

الهاشميين والمطلبين سيقاتلون البطون حتى الفناء التام (٥٠)، وشجع بنيه على التضحية

بأرواحهم فداءً لمحمد صلى الله عليه وآله (٥١)، وكان يقوم بنقل النبي من فراش إلى آخر ليلاً عدة مرات

في أثناء الحصار خوفاً على حياته (٥٢)، وكان الناطق الرسمي باسم النبي صلى الله عليه وآله عندما أكلت

دابة الأرض صحيفة المقاطعة، وقاد عملية الرجوع من الشعب إلى مكة بعد انتهاء حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب (٥٣).

ومن هنا نفهم معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: " ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب " (٥٤)، وتسميته العام الذي مات فيه أبو طالب وخديجة (عام الحزن) (٥٥) وقوله صلى الله عليه وآله

عن وفاتهما: " اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً " (٥٦).

ومما يثير الدهشة، أن السلطة التي قبضت على مقاليد الأمور بالقوة بعدئذ، وسيطرت على وسائل الإعلام، قلبت الحقائق رأساً على عقب، وحولت أبا

طالب (رض) إلى رجل مشرك، وأنه في ضحضاح من النار، على حد تعبير المغيرة بن شعبة المشهور بعداوته لربي هاشم، ونسيت أو تناست قول النبي صلى الله عليه وآله وهو يقف

جنازة أبي طالب: " يا عم، ربيت صغيرا، وكفلت يتيما، ونصرت كبيرا، فجزاك الله عني خيرا " (مصدر).

ثالثا - جعفر بن أبي طالب، الآخر الشقيق للإمام علي، من أوائل الذين آمنوا، أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بقيادة المهاجرين إلى الحبشة، تمكن من إقناع النجاشي بعدالة

القضية الإسلامية، فلم يستجب لوفد بطون قريش الذي جاء إلى الحبشة يحمل الهدايا إلى النجاشي، مطالبا برد المهاجرين المسلمين إلى مكة (٥٧).

عاد جعفر من الحبشة بعد فتح خيبر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: " والله ما أدري بأيهما أنا أشد سرورا، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر " (٥٨).

استشهد رحمه الله في غزوة مؤتة، حاملا راية القيادة والجهاد في سبيل الله (٥٩).

رابعا - حمزة بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وآله، اشترك مع الهاشميين في حماية النبي ودعوته، ولما اشتد أذى قريش للنبي، تحدى البطون، وأعلن إسلامه، قاتل في بدر قتالا لم تعهده العرب، وكان هو وعلي وعبيد الله بن الحارث أول ثلاثة برزوا

لسادات بني أمية، وغيروا ميزان القوى لصالح الإسلام.

كان من القلة التي ثبتت إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله في معركة أحد بعد أن فر الجميع، وبينما كان يقاتل غدر به عبد حبشي من عبيد أبي سفيان، وكان مقتله نتيجة مؤامرة أموية رتب فصولها أبو سفيان وزوجته هند (أم معاوية) التي بلغ حقدتها على حمزة أن مثلت بجثته، فبقرت بطنه، وقطعت أنفه وأذنيه، ولاكت كبده تشفيا وانتقاما (٦٠).

خامسا - عبيد الله بن الحارث، من سادات بني عبد المطلب، أعلن إسلامه

يوم اجتماع الدار، وبقي تحت إمرة النبي صلى الله عليه وآله حتى هاجر معه إلى المدينة، وكان أحد الثلاثة الذين برزوا لصناديد قريش في معركة بدر، وكان خصمه أفتى منه، فتبادلا الطعان، فأصيب عبيد الله، واستشهد (٦١).

ويلاحظ أن أركان قيادة جبهة الإيمان في مرحلة الدعوة كلهم هاشميون، ومرد ذلك إلى أن الهاشميين هم الذين تحملوا عب الدعوة وحماية الداعية محمد صلى الله عليه وآله، وهم الذين تأمرت عليهم البطون وحاصرتهم في شعب أبي طالب (٦٢)، واشترك في الحصار كافة بطون قريش الثلاثة والعشرين، بما فيهم بنو تيم، وبنو عدي، وبنو أمية. وأما الذين أسلموا خلال مرحلة الدعوة من غير بني هاشم، فهم على نوعين:

الأول - من كان ينتمي بالدم إلى أحد البطون القرشية، فكان داخلا تحت حماية بطنه، فقد يتعرض للوم والتقريع، لكن لا يقوى أحد على التعرض له بالإيذاء أو القتل.

الثاني - العبيد والأحايش ومن كان منتميا إلى بطون قريش بالموالاة، وهؤلاء كانوا موضع النقمة ومحط الابتلاء، لأنهم بلا حماية عشائرية، ومنهم:

١ - بلال بن رباح الحبشي، كان مملوكا لأمية بن خلف الجمحي، الذي كان يعذبه عذابا أليما، ويضع الصخرة العظيمة على صدره في الرمضاء، ومع ذلك لم يتحول عن إيمانه (٦٣).

٢ - ياسر وزوجته سمية وابنهما عمار، حلفاء بني مخزوم، عذبهما أبو جهل، ولم يتورع عن طعن سمية في قبلها، فاستشهد ياسر وزوجته تحت التعذيب، وبقي عمار على قيد الحياة (٦٤).

٣ - لبيبة جارية بني المؤمل، التي كان عمر بن الخطاب لا يتوقف عن تعذيبها إلا سامة (٦٥).

٤ - زنيرة، المرأة التي عذبها عمر بن الخطاب حتى فقدت عينيها (٦٦).

٥ - الخباب بن الأرت، كان أبوه من السبैया، تعرض لعذاب شديد، لكنه ثبت على دينه (٦٧).

٣ - كان القائد العام لجبهة الشرك طيلة مرحلتي الدعوة والدولة هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، المكنى بأبي سفيان. كان تاجرا كثير الأسفار، وقد سمع أن نبيا سيبعث من آل عبد مناف، فظن أنه سيكون ذلك النبي، إذ ليس في بني عبد مناف - في تصوره - من هو أجدر بالنبوة منه، فهو قائد قريش في غزواتها، وهو تاجر ثري، ومن حوله بنو أمية الأكثر مالا ونفيرا (٦٨).

وفوجئ أبو سفيان بإعلان النبي محمد صلى الله عليه وآله عن نبوته، فجن جنونه، واعتبر

قضية النبوة مؤامرة هاشمية على الأمويين عامة، وعليه خاصة.

كان أبو سفيان وراء وحدة بطون قريش الثلاثة والعشرين ضد محمد صلى الله عليه وآله والبطن

الهاشمي، إذ ليس من المعقول أن تتحد البطون في غياب قائد غزواتها ودون علمه. وكان رئيس وفد البطون الذي توجه إلى أبي طالب وطالبه إما بكف ابن أخيه محمد عن دعوته، أو أن يخلي بين محمد وبين البطون (٦٩).

وهو مهندس عملية حصار الهاشميين في شعب أبي طالب مدة ثلاث سنين حتى اضطروا إلى أكل

ورق الشجر من الجوع، واضطر أطفالهم أن يمصوا الرمال من العطش (٧٠). وكان وراء استقبال أهل الطائف لرسول الله، ذلك الاستقبال السيئ الذي أثر بنفسه الشريفة تأثيرا عميقا فهتف مناديا ربه: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس " (٧١).

وكان أحد الذين خططوا لإرسال وفد إلى النجاشي، مزودا بالهدايا، لرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، حتى يتمكن أئمة الكفر في مكة من فتنهم عن دينهم (٧٢). وكان هو وزوجته وابناه معاوية ويزيد، وراء معركة أحد، إذ حرضوا المشركين على خوضها، وأنفق أبو سفيان على هذه المعركة أربعين أوقية من الذهب (٧٣).

وكان وراء أكبر تجمع شهدته الجزيرة العربية آنذاك، إذ جمع الأحزاب وغزا بها رسول الله، وتحالف مع اليهود طمعا باستئصال محمد على حد تعبيره. وظل يحارب النبي صلى الله عليه وآله بكل وسائل الحرب، حتى أظهر الله دينه، وأحاط جند

الله بعاصمة الشرك، فاضطر لإظهار الإسلام، ليحقن بذلك دمه (٧٤).
وتعاملا مع التركيبة النفسية لأبي سفيان، ونزعا لفتيل المقاومة بالإعلان الضمني عن استسلام أبي سفيان، أمر النبي صلى الله عليه وآله مناديا ينادي (من دخل دار

أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن) (٧٥) ومن العبارات التي صدرت عن أبي سفيان، وكشفت عن دخيلة نفسه، وبقائه على الكفر، قوله لعثمان عندما آلت إليه الخلافة: (صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار) (٧٦). ودخل يوما على عثمان بعدما ذهب بصره، فقال: أههنا أحد؟ فقالوا: لا، فقال: (اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية) (٧٧).

٤ - وأما أركان قيادة جبهة الشرك، فهم مجموعة من الشخصيات المشتركة ذات القدم الراسخة بمعاداة النبي ومحاربتة طيلة مدة ١٨ عاما، ومن أبرزهم: أولا - معاوية ويزيد وعتبة وحنظلة، أبنا أبي سفيان، وهم الحلقة الأولى من أركان الشرك، قاوموا الإسلام بضراوة، ولم يلقوا سلاحهم إلا بعد أن استسلم قائدهم أبو سفيان، فأظهروا الشهادتين، وحقنوا بذلك دماءهم. ثانيا - عتبة وشيبة ابنا ربيعة (وربيعة جد معاوية لأمه)، والوليد بن عتبة وهو ابن خال معاوية، والعاص بن سعيد، وعقبة بن معيط، وقد قتلوا جميعا في معركة بدر (٧٨).

ثالثا - الحكم بن العاص وابناه مروان والحارث.
أما الحكم فقد كان من أشد الكفار عداوة وحربا للرسول صلى الله عليه وآله في
مرحلتى الدعوة
والدولة، ثم صار طليقا من الطلقاء بعد فتح مكة، ولكن لم يتوقف عن عداوته وكيدته،
فنفاه النبي صلى الله عليه وآله، وبقي منفيًا طيلة حياة النبي وخلافة أبي بكر وعمر، رغم
مراجعة
عثمان للأخيرين بشأن إرجاعه، فلما تولى عثمان الخلافة أعاده معززا مكرما، وأعطاه
من بيت مال المسلمين
ما حوله من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش، وكان عثمان يحبه حبا شديدا، رغم
كراهية
الحكم للرسول، وكراهية الرسول له. وعندما مات أقام عثمان على قبره فسقاطا،
على عادة أهل الجاهلية بإظهار الحزن (٧٩).
وأما ابنه مروان، فهو من أعمدة الشرك، وقد قربه عثمان، وزوجه من ابنته،
وجعله رئيسا لوزرائه وكاتما لأسراره، وأعطاه خمس غنائم إفريقية (٨٠)، ومنحه فداك
التي اغتصبوها من صاحبة الحق الشرعي وهي فاطمة الزهراء (ع) (٨١)، صار الملك له
ولأولاده من بعده، فأصبحوا خلفاء المسلمين، مع أن رسول الله (ص) قد لعنهم
وحرّم عليهم أن يسكنوا المدينة معه (٨٢).
وأما الحارث، فقد قربه عثمان أيضا وزوجه ابنته، وأغدق عليه من أموال
المسلمين ما جعله مترفا، وأقطع منطقة مهزور التي تصدق بها رسول الله على
المسلمين (٨٣).
رابعا - الوليد بن عقبة، أخ عثمان لأمه، كان والده من أشد
أعداء النبي صلى الله عليه وآله وقد قتل في بدر صبورا، واستمر الوليد في خط معاداة
الإسلام ومحاربتة،
حتى اضطر إلى التظاهر بالإسلام بعد فتح مكة، فأصبح من الطلقاء
ولاه عثمان على الكوفة، وكان مشهورا بالزنا وشرب الخمر (٨٤). صلى الصبح أربع
بدلا من اثنتين،
وكان يقول وهو ساجد: اشرب واسقني (٨٥)، وكان له تأثير فعال في إقامة
وتثبيت الملك الأموي.

خامسا - عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، ابن خالة عثمان وأخوه من الرضاعة، وهو كغيره من بني أمية من الطلقاء أيضا، كتب للنبي (ص)، وعرف النبي أن الرجل خائن فطرده، فارتد عن الإسلام وأخذ يشيع في مكة أنه كان يتلاعب بالقرآن (٨٦)، فأباح الرسول دمه، ولكن عثمان أستأمن له من النبي صلى الله عليه وآله (٨٧)، لمع نجمه في خلافة عثمان الذي أعطاه جميع ما أفاء الله من فتح إفريقيا كلها، دون أن يشرك فيه أحدا من المسلمين (٨٨)، ثم ولاه على مصر (٨٩) بعد أن عزل عنها عمرا بن العاص.

سادسا - عبد الله بن عامر بن كريز الأموي، ابن خالة عثمان، وهو من الطلقاء المشهورين بعداوتهم للنبي صلى الله عليه وآله، ولاه عثمان البصرة، وجعله أميراً على فتوحات الشرق، ساهم في زعزعة أركان الإسلام، وتثبيت دعائم الحكم الأموي (٩٠).

سابعا - أبو جهل (عمرو بن هشام المخزومي)، كان منافسا لأبي سفيان على قيادة جبهة الشرك، وقد قتل في معركة بدر (٩١).
ثامنا - الوليد بن المغيرة وابنه خالد، كان الوليد أحد المستهزئين (٩٢)، وقاوم هو وابنه الإسلام في مرحلتي الدعوة والدولة، وفي معركة أحد تمكن خالد من قلب ميزان القوة لصالح المشركين، ثم حالف أبا بكر وعمر وساهم في قيام دولتيهما، وكان من المساهمين في محاولة إحراق بيت فاطمة، أصبح من القادة العسكريين في حكومتي أبي بكر وعمر، يفعل ما يشاء، كأن يقتل مسلما، ويتزوج أرملته في نفس اليوم، دون أن يتعرض لأي لوم من ولاة الأمر (٩٣).
تاسعا - عمرو بن العاص بن وائل، كان أبوه شائنا لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويقول: إن محمدا أبترا لا ابن له (٩٤)، فنزل فيه قوله تعالى: " إن شائتك هو الأبترا ".

وأم عمرو هي ليلي، كانت من أشهر بغايا مكة وأرخصهن أجرة، واقعتها ستة رجال، فحملت بعمرو، فلما ولدته ادعاه كل منهم، فقالت: ألحقوه بأكثرهم شبها به، فألحقوه بالعاص بن وائل (٩٥).

قاوم عمرو بن العاص رسول الله خلال مرحلة الدعوة كلها، وكان رئيس بعثة بطون قريش إلى النجاشي لرد المهاجرين إلى الحبشة، طمعا بفتنتهم عن دينهم (٩٦).

هجأ رسول الله بسبعين بيتا من الشعر، فقال الرسول صلى الله عليه وآله: اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة (٩٧).

أدرك بدهائه وذكائه أن كفة النبي قد رجحت، وأنه سيغلب بطون قريش، فسار إلى النبي صلى الله عليه وآله ونطق بالشهادتين وهو يحمل قناعات الشرك. رآه النبي صلى الله عليه وآله مجتمعا مع معاوية، فقال: (إذا رأيت معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين، ففرقوا بينهما: فإنهما لن يجتمعا على خير) (٩٨).

تربع على ولاية مصر طوال عهدي أبي بكر وعمر، وجاء عثمان فعزله عنها، فأخذ يحرض على قتل عثمان، ولما آلت الخلافة للإمام علي (ع)، التحق ابن العاص بركب معاوية، واتفقا على أن تكون مصر لعمرو بن العاص، والخلافة لمعاوية (٩٩).

* الفصل الخامس - أشكال المواجهة.

اتخذت مواجهة بطون قريش للنبي وعترته ودينه واتباعه أشكالا مختلفة،
نعرض لها كما يلي:

١ - الهزؤ والسخرية.

ألفت بطون قريش فريقا خاصا مهمته الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وآله، ومن أعضاء هذا الفريق: الوليد بن المغيرة والد خالد، وعبقة بن أبي معيط، والحكم بن العاص بن أمية، وهو والد مروان مؤسس الدولة الأموية وعم عثمان بن عفان، وأبو جهل بن عمرو بن هشام المخزومي (١٠٠).

وقد أشار القرآن الكريم لهذه الفرقة وممارساتها في آيات عديدة، منها قوله تعالى: " إنا كفيناك المستهزئين " (١٠١)، وقوله تعالى: " ولقد استهزئ برسل من قبلك،

فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون " (١٠٢).

لقد كانوا يستهزؤون بالنبي صلى الله عليه وآله للتقليل من شأنه: لأنه لم يكن جديرا بالنبوة في نظرهم: وأنه ليس عظيما بمقاييسهم الخاطئة للعظمة. " وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (١٠٣).

٢ - الاتهامات الباطلة.

فقد أشاعت البطون أن النبي (حاشاه) كاذب في ما يزعمه من أمر النبوة والوحي، قال تعالى: " فإن يكذبوك، فقد كذب الذين من قبلهم " (١٠٤). وقد كان تأثير هذه التهمة على قبائل العرب قويا ونافذا: نظرا لمكانة بطون قريش الأدبية عند العرب، بدليل أن النبي صلى الله عليه وآله عرض نفسه على قبائل كثيرة، فامتنعت

عن اتباعه، وقالت: (أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك) (١٠٥)، وظل النبي على هذه الحال حتى ساقه الله لحي من أهل يثرب.

ومن جملة اتهاماتهم الظالمة:، ما أشاعوه من أن النبي ساحر ومجنون وشاعر وكاهن، وفي القرآن الكريم إشارات لكل هذه التهم الباطلة.

٣ - إهانة النبي صلى الله عليه وآله شخصيا.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره المؤرخون من أنهم ألقوا على ظهر النبي فرثا وسلى استخرجوه من جزور مذبوح، بينما كان النبي يصلي في بيت الله الحرام، فقام النبي حزينا ليخبر عمه أبا طالب بما جرى، فغضب أبو طالب وأقبل على زعامة البطون الجالسة قرب الكعبة حاملا سيفه، وقال مهددا: (والله لا يتكلم منكم أحد إلا ضربته)، ثم أمر غلامه فألقى الفرث والسلى على وجوه زعامة البطون ردا على ما فعلته بمحمد (١٠٦)، وقال القرطبي في تفسيره: إن أبا طالب لطح بالفرث وجه عبد الله بن الزبيري، وهو الذي ألقى بالفرث على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ - محاولات الاغراء.

فقد قالت زعامة البطون لأبي طالب: (إن ابن أخيك قد عاب آلهتنا، وضلل أسلافنا، فليمسك عن ذلك، وليحكم في أموالنا بما يشاء)، وأطلع أبو طالب النبي على عرض قريش، فكان جواب النبي صلى الله عليه وآله: (إن الله لم يعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها، وإنما بعثني لأبلغ عنه وأدل عليه) (١٠٧).

٥ - الطعن بالقرآن الكريم.

طعنت قريش بالقرآن الكريم: لأنه أعظم براهين النبوة: فزعمت أنه أساطير الأولين، وأن محمدا افتراه على الله وتقوله، وأنها لو شاءت لقاتل مثله، فتحداها رسول الله بأمر من ربه أن تأتي بعشر سور من مثله، فعجزت عن ذلك، ثم تحداها بالإتيان بسورة واحدة، فعجزت أيضا، ثم أنزل الله تعالى قوله: " قل: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرا " (١٠٧).

٦ - التعذيب والتقتيل.

دخل في دين الإسلام عدد من سكان مكة، وكان المطلوب من المسلم أن يشهد بوحدانية الله تعالى، وبأن محمدا عبد الله ورسوله، ولم يطلب منهم مواجهة قريش أو حماية النبي، وإنما كانت المواجهة محصورة بالنبي وبني هاشم من جهة، وبتون

قريش من جهة أخرى. إلا أن قريش صبت جام غضبها على الذين أسلموا ممن لا قبائل لهم تحميهم، كالموالي والأحاييش والعبيد، وأبرز التاريخ صورا مرعبة لهذا التنكيل والتعذيب، كشفت عن طبيعة الشرك وتعامله مع من يظفر بهم من أعدائه.

٧ - الحصار والمقاطعة.

أدركت بتون قريش أن عدوها اللدود هو البطن الهاشمي، ففكرت بمقاطعة هذا البطن ومحاصرته، من أجل إجباره على التخلي عن محمد صلى الله عليه وآله، وتمكينها من تصفية حسابها معه.

اجتمع زعماء معسكر الشرك، وكتبوا صحيفة بالمقاطعة الكاملة لبني هاشم، حتى يسلموا محمدا لبتون قريش، واعتبروا ذلك عقدا وعهدا، ومهروه بتوقيع ثمانين من زعماء بتون قريش، ولإضفاء القداسة والجدية على هذا العقد، علقوا الصحيفة في جوف الكعبة في السنة السابعة بعد البعثة في شهر محرم (١٠٨). انحاز الهاشميون - باستثناء أبي لهب - وبنوا المطلب بن عبد مناف، ودخل الجميع في شعب أبي طالب، ولم يكن يصل إليهم شئ من الطعام إلا ما كان يتسرب إليهم سرا من بعض المتعاطفين معهم.

استمر الحصار ثلاثة أعوام، أنفقت فيها خديجة بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله

كل أموالها، وأنفق أبو طالب وبنوه ما عندهم، واشتد الأمر على الهاشميين

والمطلبين، وعانوا الحرمان والجوع، فأكلوا نبات الأرض، وأخذ الأطفال يمتصون الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به، دون أي إحساس بالحرج.

ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا، ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي، لقد تحملوا ما لم تتحمله قبيلة علي وجه الأرض في سبيل محمد صلى الله عليه وآله وفي سبيل دينه، ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله كما قتل غيره

من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها، ولكن الله أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة. ثم أوحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أنه أرسل حشرة أكلت صحيفة الحصار، ولم

تبق من كتابتها إلا اسم الله، وما إن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة، حتى نهض رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبر عمه بتفاصيل خبر السماء، وعلى إثر ذلك توجه

النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب والهاشميون جميعاً إلى مكة. أقبلت قريش تريد الوقوف على حقيقة الأمر، وهي تظن أبا طالب قد جاء ليعلمن استسلامه واستسلام بني هاشم، ولكن أبا طالب طلب من زعماء الشرك أن يحضروا صحيفة الحصار، فلما فعلوا ذلك، قال لهم.

- أليست هذه صحيفتكم على العهد الذي تركتوها فيه؟

فقال زعماء البطون: نعم.

فقال أبو طالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟

فقالوا: اللهم لا.

فقال لهم: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأربعة فأكلت

كل ما فيها إلا ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقاً ما تصنعون؟

فقال زعامة البطون - نكف ونمسك.
فقال أبو طالب - فإن كان كاذبا دفعته إليكم تقتلوناه.
فقالوا: قد أنصفت وأجملت.

وفضت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواقع اسم الله عز وجل (١٠٩)،
وبهتت زعامة الشرك، وأسلم على أثر هذه المعجزة عدد من الناس، وأعلن أبو
طالب أنه على الدين الحق، واهتزت شرعية الحصار والمقاطعة.
إن للهاشميين فضلا على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، فلولا موقفهم
الحاسم المشرف بقيادة أبي طالب، لتمكنت بطون قريش من قتل محمد صلى الله عليه
وآله، ولما قامت
للإسلام قائمة.

ومن المهازل أن تقوم السلطات التي سيطرت على مقاليد أمور المسلمين
فيما بعد بتصوير أبي طالب مشركا، وتنكر كفاحه وجهاد أبنائه، وتفرض مسبتهم
على المنابر، ولا تقبل شهادة من يواليهم، وتلقي في أذهان العامة والغوغاء أن
الهاشميين ماتوا بموت محمد صلى الله عليه وآله، وأنهم لم يخلقوا للقيادة، وإنما
خلقوا ليكونوا

أتباعا لخلفاء بطون قريش، وأن الخلافة حق خالص للبطون، مثلما كانت النبوة
حقا خالصا للهاشميين (١١٠)، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة، وكأن البطون
هي المنحولة بتوزيع الفضل الإلهي.

٨ - التخطيط لقتل النبي صلى الله عليه وآله.
أفلح النبي صلى الله عليه وآله بتكوين قاعدة له في يثرب، إذ أسلم من أهلها ما لا يقل
عن سبعين رجلا، دعوه إلى أن يهاجر إليهم، وعاهدوه على أن يحموه كما يحمون
أنفسهم، وأطلعت زعامة البطون على عزم النبي على الهجرة وعرفت بالتحديد اليوم
الذي

سيهاجر فيه، فأدركت أن النبي قد بدأ مرحلة خطيرة، وأنه إذا نجح في الهجرة

سيتمكن من استقطاب الأكثرية من سكان يثرب ومن حولها من القبائل، فسارعت بعقد اجتماع في دار الندوة طرحت فيه ثلاثة آراء: حبس النبي، أو نفيه، أو قتله (١١١).

قال تعالى: " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين " (١١٢). وانتهوا إلى أن القتل هو الحل الأفضل، فاختاروا عددا من فتيانهم، يمثل كل منهم عشيرته، ليشاركوا في قتل النبي، لتكوين جبهة مترابطة تقف بوجه بني هاشم، فلا يقوون على المطالبة بدمه، فيضيع دمه بين العشائر. ما إن خيم الظلام حتى أحاط القتلة المجرمون ببيت النبي صلى الله عليه وآله. كلف النبي صلى الله عليه وآله عليا أن يتدثر ببرد النبي الحضرمي الأخضر، وينام في فراش

النبي، ليوهم المتآمريين أن النائم هو النبي وليس عليا، ثم شرع رسول الله بالخروج وهو يتلو قوله تعالى: " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " (١١٣)، وتحطى القتلة دون أن يبصروه (١١٤)، ثم تابع طريقه إلى يثرب يرافقه أبو بكر و عبد الله بن أريقط.

وطال انتظار المتآمريين حتى انبلج الفجر، دون أن يخرج النبي ليقتلوه، فسارعوا إلى اقتحام الدار، واقتربوا من فراش النبي، وكشفوا الغطاء، فإذا بالنائم علي، فهاج القتلة وسألوه عن النبي، فأجابهم بهدوء المؤمن ورباطة جأش: " قلتم له: أخرج عنا، فخرج عنكم " (١١٥).

وجن جنون زعامة البطون، واطلقت فرسانها وراء النبي صلى الله عليه وآله، ليعودوا به حيا أو ميتا، لكنها لم تفلح في مساعيها، إذ دخل النبي صلى الله عليه وآله الغار، وقضى فيه

ثلاثة أيام حتى يئست زعامة البطون من العثور عليه، فقام بعد ذلك بشق طريقه بيمن الله ورعايته إلى عاصمة دولته المباركة،

الهوامش:

- ١ - سيرة الرسول وأهل بيته، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ ١ / ٥٨ - ٦٠
- ٢ - ٣ - ٤ - صحيح البخاري ٥ / ١٢٩، صحيح مسلم ٢ / ٣٦٠، صحيح الترمذي ٥ / ٣٠٤،
- مسند أحمد ٣ / ٥٠، مستدرك الحاكم ٢ / ١٠٩، تاريخ الطبري ٢ / ١٠٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ١ / ٣٠
- ٥ - مسند أحمد ٥ / ٢٥، الإصابة لابن حجر ٢ / ٥٠٩، ينابيع المودة للقندوزي ص ٥٥، ١٨٢،
- خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٦٤، مستدرك الحاكم ٢ / ٣٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ١ / ٤٩٠ وما بعدها.
- ٦ - صحيح البخاري ٥ / ٢٩٦، خصائص النسائي ص ٩٧، مناقب الخوارزمي ص ٩٢، الإصابة
- لابن حجر ٢ / ٥٠٩، حلية الأولياء ٦ / ٢٩٤، أسد الغابة لابن الأثير ٤ / ٧، مصابيح السنة للبغوي ٢ / ٢٧٥، ينابيع المودة ص ٥٣، تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٦، وغيرها.
- ٧ - حلية الأولياء ٤ / ٣٤٩، مجمع الزوائد للهيتمي ٩ / ١٠٨، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢ / ٩٣.
- ٨ - تاريخ دمشق ٢ / ٩٣، المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٠، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٨، منتخب الكنز
- بهامش مسند أحمد ٥ / ٣٢، ينابيع المودة ص ٢٨٢، فضائل الخمسة ١ / ٢٠٢.
- ٩ - تاريخ دمشق ٢ / ٧٥، ٥٧٥ - ٥٧٨، المناقب للخوارزمي ص ٩٤، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ / ٢٩٠، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١ / ١٥٨.
- ١٠ - الأحقاف - من الآية ٩.
- ١١ - النجم - ٣ - ٤.
- ١٢ - نفس المصادر المذكورة في الهامش رقم (٧).
- ١٣ - تاريخ دمشق ٢ / ٢٥٧، ٧٧٢، الرياض النضرة ٢ / ٢٣٤، شرح النهج لابن أبي الحديد ٩ / ١٦٩، المناقب للخوارزمي ص ٤٢، حلية الأولياء ١ / ٦٣، ينابيع المودة ص ٣١٣.

- ١٤ - نفس المصادر المتقدمة في هامش (١٣).
- ١٥ - مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.
- ١٦ - الطبقات لابن سعد ١ / ٧٥.
- ١٧ - السيرة الحلبية ١ / ٦، الطبقات لابن سعد ١ / ٧٨.
- ١٨ - تاريخ الطبري ٢ / ١٧٩، السيرة الحلبية ١ / ١٠، طبقات ابن سعد ١ / ٨٢، ٨٤، ٨٥.
- ١٩ - السيرة الحلبية ١ / ٨٠.
- ٢٠ - السيرة الحلبية ١ / ٨٠.
- ٢١ - تاريخ الطبري ٢ / ٢١٩، الكامل لابن الأثير ٢ / ٦٢، تاريخ دمشق ١ / ٨٥، شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢١٠.
- ٢٢ - تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٤، طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٠، سيرة الرسول وأهل بيته مؤسسة البلاغ ١ / ٦٠.
- ٢٣ - نقله الحسيني في كتابه لقد شيعني الحسين ص ١٠٦، يتأكد من الجزء والصفحة.
- ٢٤ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٢٤، مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٤.
- ٢٥ - طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣، السيرة الحلبية ١ / ٣٠، ٣٠٨، ٣٢٢.
- ٢٦ - سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٦، تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٩.
- ٢٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٢٥٢، ٢٧٢.
- ٢٨ - راجع كتابنا الخطط السياسية ص ١٥٠ - ٥٠٠ للاطلاع على منهج بطون قريش لتعديل الترتيبات الإلهية.
- ٢٩ - مروج الذهب للمسعودي ١ / ٢٩١ - ٢٩٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٢٤، شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٧.
- ٣٠ - ٣١ - تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٧.

- ٣٢ -
- ٣٣ - ٣٤ - طبقات ابن سعد ١ / ٣٣٦ - ٣٣٨، سيرة ابن هشام ١ / ٣٩٩، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ١٥١، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٢، السيرة الحلبية ١ / ٢٥٧، تاريخ ابن كثير ٢ / ٨٤، ٩٦.
- ٣٥ - ونجد تطبيق هذا القرار في معارك بدر وأحد والخندق.
- ٣٦ - الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٨٦.
- ٣٧ - راجع مصادر الهامش رقم (٢١).
- ٣٨ - تجد توثيق ذلك في كتابنا: نظرية عدالة الصحابة ص ٢٢٢ - ٢٢٥.
- ٣٩ - تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٩، سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٦، مستدرك الحاكم ٢ / ١٣٢،
- تاريخ الطبري ٢ / ٢٩، الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٣.
- ٤٠ - سيرة الرسول وأهل بيته، مؤسسة البلاغ ١ / ١١٢.
- ٤١ - المغازي للواقدي ١ / ٦٨.
- ٤٢ - مستدرك الصحيحين ٢ / ١١١، ١٣٧، طبقات ابن سعد ٢ / ١١٥، مسند ابن حنبل ١ / ٣٦٨، أسد الغابة ٤ / ٢٠، مجمع الزوائد للهيثمي ٥ / ٣٢١، سنن البيهقي ٧ / ٢٠٧، كنز العمال ٥ / ٢٦٩، الرياض النظرة للطبري ٢ / ١٩١، الصواعق المحرقة ص ٧٦.
- ٤٣ - ذخائر العقبى للطبري ص ٩٢، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٩٧، الإستيعاب لابن عبد البر ٢ / ٤٥٧، الإصابة لابن حجر ٥ / ٢٨٧، كنز العمال ٢ / ١٥٤، ٥ / ٢٧٣.
- ٤٤ - أسد الغابة ٤ / ٢٠، الرياض النظرة ٢ / ١٧٢، مسند أحمد ٦ / ٨، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٠، تاريخ بغداد ١١ / ٣٢٤، كنز العمال ٦ / ٣٩٨، الإستيعاب ٢ / ٧٨٠.
- ٤٥ - تجد توثيق ذلك في كتابنا: نظرية عدالة الصحابة ص ٢٤٧ وما بعدها.
- ٤٦ - تاريخ دمشق ٢ / ٥٤٨ - ٥٥٠، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، فضائل الخمسة ١ / ٣٥٠.

- تاريخ الإسلام الذهبي ٢ / ١٩٧، البداية والنهاية ٥ / ٢١٢ .
- ٤٧ - سيرة الرسول وأهل بيته ١ / ٢٩ .
- ٤٨ - لكامل لابن الأثير ٢ / ٢٤، وتعليل العلامة الأميني في غديره ٧ / ٣٩٣ .
- ٤٩ - طبقات ابن سعد ١ / ١٨٦ .
- ٥٠ - السيرة الحلبية ١ / ٣٠٤، طبقات ابن سعد ١ / ١٨٦ .
- ٥١ - سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢ / ٢١٤، الإصابة لابن حجر ١ / ١١٦، شرح نهج البلاغة ٢ / ٣١٤، أسد الغابة ١ / ٢٨٧ .
- ٥٢ - رواه ابن الأثير ونقله عنه الأميني في كتابه الغدير ٧ / ٤٠٤ .
- ٥٣ - رواه ابن الأثير ونقله عنه الأميني في الغدير ٧ / ٤٠٣ - ٤٠٤ .
- ٥٤ - تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢١ .
- ٥٥، ٥٦ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٥ .
- ٥٧ - سيرة ابن هشام ١ / ٣٦١ .
- ٥٨ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٦ .
- ٥٩ - سيرة الرسول وأهل بيته ١ / ٧٩ .
- ٦٠ - سيرة الرسول وأهل بيته ١ / ١٣٩ .
- ٦١ - المغازي للواقدي ١ / ٦٩ .
- ٦٢ - طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٨، السيرة الحلبية ١ / ٢٤٣، تاريخ الطبري ٢ / ٢٤٥ .
- ٦٣ - الكامل في التاريخ ٢ / ٦٦ .
- ٦٤ - الكامل في التاريخ ٢ / ٦٧ .
- ٦٥، ٦٦ - الكامل في التاريخ ٢ / ٦٩ .
- ٦٧ - الكامل في التاريخ ٢ / ٦٨ .

- ٦٨ - السيرة الحلبية ١ / ٠٨ .
- ٦٩ - سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٧، ٢ / ٤٦، الغدير للأميني ١٠ / ١٠٦ وما بعدها.
- ٧٠ - سيرة ابن هشام ٢ / ٩٤، صحيح البخاري ٢ / ٥٨٢، طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٨، السيرة الحلبية ١ / ٣٣٦.
- ٧١ - الكامل في التاريخ ٢ / ٩١.
- ٧٢ - سيرة ابن هشام ١ / ٣٦١.
- ٧٣ - الغدير ١٠ / ١٠٧.
- ٧٤ - سيرة ابن هشام ٤ / ٦٤.
- ٧٥ - الكامل في التاريخ ٢ / ٤٥.
- ٧٦ - الغدير ١٠ / ١١٠.
- ٧٧ - تاريخ ابن عساكر ٦ / ٤٠٧.
- ٧٨ - مغازي الواقدي ١ / ١٤٧ - ١٤٨.
- ٧٩ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٤.
- ٨٠ - تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩١، أنساب الأشراف ٥ / ٢٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٦.
- ٨١ - تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٣٢، العقد الفريد ٤ / ٢٨٣، شرح نهج البلاغة ١ / ١٩٨.
- سنن أبي داود ٢ / ٤٩، سنن البيهقي ٦ / ٣١٠.
- ٨٢ - أنساب الأشراف ٥ / ٢٧، أسد الغابة ٢ / ٣٤، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٣٤٥.
- ٨٣ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٩٩.
- ٨٤ - الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٥ / ١٢٦.
- ٨٥ - الأعلام للزركلي ٨ / ١٢٢.
- ٨٦، ٨٧ - المستدرک علی الصحیحین ٢ / ١٠٠، أسد الغابة ٢ / ١٧٣، أنساب الأشراف ٥ / ٤٩.

- ٨٨ - المستدرك على الصحيحين ٢ / ١٠٠ .
- ٨٩ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٩٩ .
- ٩٠ - أسد الغابة ٢ / ١٩١ .
- ٩١، ٩٢ - مغازي الواقدي ١ / ١٤٩ - ١٥٠ .
- ٩٣ - السيرة الحلبية ١ / ٣١٨ - ٣٢٠ .
- ٩٤ - تفسير الرازي ٨ / ٥٠٣، طبقات ابن سعد ١ / ١١٥، المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤، تاريخ ابن عساكر ٧ / ٢٣٠ .
- ٩٥ - بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ١ / ١٦٤، جمهرة الخطب ٢ / ٣٦٣ .
- ٩٦ - سيرة ابن هشام ١ / ٣٥٧ - ٣٦٠ .
- ٩٧ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤، شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٣، جمهرة الخطب ٢ / ١٢، الغدير ٢ / ١٦٠ وما بعدها .
- ٩٨ - كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١١٢، العقد الفريد ٢ / ٢٩٠ .
- ٩٩ - كتاب صفين ص ٢٠ - ٢٤، الكامل للمبرد ١ / ٢٢١، شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٦ - ١٣٨، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٦١، قصص العرب ٢ / ٣٦٣ .
- ١٠٠ - السيرة الحلبية ١ / ٣١٨، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٧٠ - ٧٥ .
- ١٠١ - سورة الحجر - ٦٥ .
- ١٠٢ - سورة الرعد - ٣٢ .
- ١٠٣ - سورة الزخرف - ٣١ .
- ١٠٤ - سورة فاطر - ٢٥ .
- ١٠٥ - طبقات ابن سعد، ١ / ٢١٦ - ٢١٨ .
- ١٠٦ - تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٤، تفسير القرطبي ص ٤٠٦، الغدير ٧ / ٣٩٩ .

- ١٠٧ - سورة الإسراء - ٨٨ .
- ١٠٨ - سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٩ - ٢٧٥ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٠ - ٤٢ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٨٤ .
- ١٠٩ - تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٢ .
- ١١٠ - الكامل في التاريخ ٣ / ٢٤ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٠٧ ، تاريخ الطبري ٤ / ٢٢٣ ،
- مروج الذهب ٢ / ٣٥٣ .
- ١١١ - سيرة ابن هشام ٢ / ٨٣ - ١١٠ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٨٢ - ١٠٣ .
- ١١٢ - سورة الأنفال - ٣٠ .
- ١١٣ - سورة يس - ٩ .
- ١١٤ - معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ مكة .
- ١١٥ - سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٥ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٩ .

الباب الثاني
المواجهة بعد الهجرة

* - الفصل الأول - النبي صلى الله عليه وآله في يثرب.
١ - توجه النبي (ص) إلى يثرب، وكانت أنباء هجرته ونجاته من القتل قد سبقته إليها.
لقد سمع سكان يثرب ومن حولها الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وآله واختلفوا
بشأنه اختلافا

كبيرا، فمنهم من آمن به وأحبه حبا شديدا، واعتبر قدومه فاتحة خير وبركة للجميع،
ومنهم من فوجئ بدخول الإسلام إلى يثرب وبسرعة انتشاره، فكره النبي كرها
شديدا قبل أن يراه، وتمنى لو أن قريشا قد تمكنت منه ووضعت حدا لحياته ولدينه،
ومن ثم اعتبر قدومه شرا مستطيرا.

إلا أن الجميع اعتبروه شخصا متميزا، وبطلا وقف أمام ضغوط بطون
قريش الثلاثة والعشرين طيلة اثني عشر عاما، فتولدت حالة من الانبهار العام بشخصه،
جعلت الجميع يتلهفون على مشاهدته، وأخفى الكارهون له ولدينه ولقدومه مشاعرهم،
وأظهروا كياسة وحسن ضيافة، وخرجت يثرب ومن حولها عن بكره أبيها تستقبل النبي
صلى الله عليه وآله بمشاعر الاعجاب والاحترام، وعرض العديد من الوجهاء على النبي
أن يحل ضيفا عليهم، ومن

جملتهم عبد الله بن أبي زعيم المنافقين، فقطع النبي تنافسهم، بأن أخبرهم أن ناقته
مأمورة بأن تبرك في مكان معين، وأنه سيحل في ذلك المكان (١).

٢ - يمكن تصنيف القوى الفاعلة اجتماعيا في يثرب عند قدوم النبي إليها
إلى ثلاثة أصناف:

الأول - المسلمون، وهم فريقان:
أولهما - المهاجرون، وهم الذين أسلموا من سكان مكة، وهاجروا

قبل النبي أو بعده، وكان أكثرهم من بطون قريش، وبعضهم من الموالي الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان كعمار بن ياسر.

وثانيهما - الأنصار، وهم الذين أسلموا من أهل يثرب، وينتمون إلى قبيلتي الأوس والخزرج، وكانت هاتان القبيلتان تعيشان التنافس على السيادة، مما جر عليهما المتاعب والويلات، وغرس في نفوس المنتسبين إليهما بذور الحسد والحقد، وأوجد حالة من التآكل الداخلي في المجتمع اليثربي الذي تشكل القبيلتان أسه وقوامه، وشعورا عميقا بالحاجة إلى حل يأتي من خارج يثرب، وسعت كل قبيلة منهما لتبني هذا الحل، ولتكون لها اليد الطولى بإيجاده، وهذا يفسر السرعة الهائلة التي انتشر بها الإسلام في يثرب وما حولها.

الصنف الثاني - القبائل اليهودية التي تسكن المدينة وما حولها مع الأوس والخزرج:، وقد ارتبطت مع هاتين القبيلتين بأحلاف عشائرية، وتعاطت التجارة واحتكرتها،

وتمركزت لديها رؤوس الأموال، وتعاملت بالربا، ومارست إذكاء نار الفتنة بين قبيلتي الأوس والخزرج، وكونت لنفسها نفوذا هائلا، ولكنها لم تفكر بالسيادة على يثرب، لإحساسها بأنها عنصر أجنبي لا يقبل اليثاربة حكمه، ومن أهم القبائل اليهودية في يثرب بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

الصنف الثالث - وهم الذين تظاهروا بالإسلام من أهل يثرب، بعد أن أدركوا أن معارضة النبي والدين الجديد هي بمثابة انتحار سياسي يجر على صاحبه سخط

العام، والعزل التام عن مواقع القيادة والتوجيه، فتفتقت ذهنياتهم المريضة عن إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

ولقد صار النفاق من أعظم المشكلات التي واجهت النبي ومن والاه، وقد تحول المنافقون إلى قوة رهيبية، إلا أنها كانت ملجومة بقيادة النبي الحكيمة، وبوجوده المبارك

والغريب أنه بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله إلى جوار ربه، وإقصاء أهل بيت النبوة عن دائرة التأثير والقيادة، هنالك اختفت كلمة النفاق وتبخر المنافقون تماما، وكأنهم كانوا ينتظرون رحيل النبي ليصلحوا أنفسهم في طرفة عين، وليعلنوا ولاءهم المطلق للسلطة التي خلفت النبي!

٣ - استقر النبي (ص) في وطنه الجديد (المدينة المنورة وما حولها) وبرزت عمليا أركان الدولة الإسلامية، وتولى النبي زمام المبادرة لتوجيه هذا البروز بحكمة وكفاءة عالية، وبدون ضجة إعلامية، وقامت بذلك دولة المواجهة المستقبلية على أربعة أركان، وهي:

الركن الأول: السلطة أو القيادة السياسية، متمثلة بقيادة النبي صلى الله عليه وآله، فهو الرسول الذي اختاره الله تعالى لتبليغ رسالته، وعينه وليا وإماما، وجعل طاعته والقبول بشرعية قيادته جزءا لا يتجزأ من دين الإسلام.

وقد أحيط سكان يثرب علما بالخطوط العريضة للمواجهة التي جرت بين النبي صلى الله عليه وآله وبين زعامة بطون قريش طيلة الثلاثة عشر عاما المنصرمة قبل الهجرة، وفهموا

أن النبي قد أعلن عليا بن أبي طالب وليا لعهد. فالإمام أو رئيس السلطة معروف ونائبه معروف.

ومن الطبيعي أن يتولى الإمام القائد توزيع المسؤوليات، وأن يستعين بمن يراه مناسبا لتحقيق الغاية الشرعية من وجود السلطة.

الركن الثاني - الشعب، وهو يضم الفئات التالية:

أولا - المسلمون الصادقون من المهاجرين والأنصار.

ثانيا - الذين تظاهروا بالإسلام من أهل يثرب وأضمروا الكفر والكرهية للنبي وأهل بيته ومن والاهم، وهم (المنافقون).

ثالثا - أصحاب المصالح الذين كرهوا قيادة النبي وكرهوا دينه، ولكنهم حرصا على مصالحهم، وحتى لا يسبحوا بمواجهة التيار العام، تظاهروا بقبولهم لقيادة محمد (ص) للمجتمع الجديد، وهم اليهود.

وبهذا يتضح أن سكان يثرب ونواحيها رضوا بمحض اختيارهم العلني أن يكونوا شعبا للسلطة الجديدة، وقبلوا أو تظاهروا بالقبول بكافة ترتيبات هذه السلطة بدون ضغط ولا إكراه، وهذا عين ما تمتته كل دولة متحضرة طوال التاريخ. الركن الثالث - السلطة التشريعية أو المنظومة الحقوقية.

المسلمون الصادقون من المهاجرين والأنصار كانوا يؤمنون بأن الحل لما ينجم بينهم، أو بينهم وبين غيرهم، يكمن في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، فهما القانون

النافذ الذي ينظم العلاقة بين أفراد الأمة، وبين الأمة والسلطة، وبين الكيان السياسي للأمة وغيره من الكيانات.

والمنافقون كانوا يتظاهرون بقبول ذلك أيضا، وأصحاب المصالح من اليهود كانوا يعلنون أنه لا مانع لديهم من ذلك، وأنهم يقبلون بكل الترتيبات التي يضعها محمد صلى الله عليه وآله.

أي أن كل أفراد الشعب قبلوا أو تظاهروا بقبول القانون النافذ المتمثل بالقرآن الكريم وبسنة النبي وتوجيهاته، وهذا أقصى ما تطمع الدول بتحقيقه. الركن الرابع - الوطن أو الإقليم، وهو المدينة المنورة من حيث المبدأ، لكنه غير محدد بها، لأن الأرض كلها لله، ومحمد هو رسوله المكلف بتبليغ رسالة ربه إلى بني البشر كافة، فكلما أسلم قوم أصبحوا آليا من رعايا دولته، وأصبحت أرضهم جزءا لا يتجزأ من أراضي الدولة الإسلامية، ومن هنا فإن الدولة الإسلامية معدة لتكون دولة عالمية، تفرض سلطتها على العالم كله، وتنتظم جماعات الجنس البشري كلها، لتكون شعبا لهذه الدولة.

* الفصل الثاني - المواجهة المسلحة.

١ - بالهجرة اختلفت الأمور تماما، فالإسلام أصبحت له دولة، ومحمد صلى الله عليه وآله يترأس

كيانا سياسيا أكثر تنظيما واستقرارا من الكيان السياسي الذي تتوزع زعامة البطون القرشية رئاسته، ولم يعد أتباع محمد ضعفاء يخافون أن يتخطفهم الناس، بل صارت لهم دولة تحميهم ووطن يأويهم ويدافعون عنه.

وما أن رتب النبي صلى الله عليه وآله الأوضاع الداخلية لكيانه السياسي حتى بدأ بإرسال

الإشارات المتلاحقة إلى زعامة بطون قريش، لإشعارها بأن الأمور قد تغيرت وأن طريق تجارتها إلى الشام أصبح تحت سيطرته، فإن شاء تركها تمر وإن شاء منعها، ومن الخير لها أن تفاوضه، فهو لا يطمع بالكثير، وليس له سوى مطلب واحد، وهو أن تخلي قريش بينه وبين العرب يدعوهم إلى دينه بلا إكراه، وليس كثيرا على قريش أن تجيبه إلى طلبه، فإن اليهود والنصارى كانوا يدعون الناس إلى دينهم، ولا تعترضهم بطون قريش، بل إن عبدة الأصنام يتمتعون بذات الحق أيضا، فلماذا لا تعامل قريش ابنها محمدا وتخلي بينه وبين العرب، كما عاملت أصحاب بقية الأديان؟

أرسل النبي سبع سرايا عسكرية خلال أحد عشر شهرا لاعتراض قوافل قريش التجارية، ابتداء من الشهر السابع للهجرة وانتهاء بالشهر السابع عشر، وقد قتل في السرية الأخيرة من المشركين عمرو الحضرمي وأسر أصحابه (٢)، ولكن قريش مضت بتجاهلها للنبي، وتجاهلها للواقع، وأصرت على أن لا تفاوضه أو تتحدث معه بأي شكل من الأشكال.

٢ - في المرة الثامنة خرج النبي صلى الله عليه وآله لاعتراض قافلة قريش القادمة من الشام بقيادة أبي سفيان، الذي علم بخروج النبي، فغير مسير القافلة، وأرسل إلى بطون قريش يستنفرها لحماية أموالها، فقررت البطون أن تخرج كلها هذه المرة، وأن تشترك في النفقات، فجهزت جيشا بقيادة أبي جهل (٣)، وبدأت

زحفها الآثم على رسول الله وهدفها المعلن هو حماية الأموال والقافلة، إلا أنها اضطرت أن تصرح بهدفها الحقيقي بعد أن نجت القافلة وأرسل أبو سفيان لقريش رسالة يقول فيها:

" إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا " (٤)، فأصر أبو جهل على محاربة المسلمين وقال: " والله لا نرجع بعد أن مكنا الله منهم، ولا نطلب أثرا بعد عين، ولا يعترض لغيرنا بعد هذه أبدا " (٥).

سمع النبي وأصحابه بإفلات القافلة وبخروج قريش بخيلها ورجلها وتصميمها على الوصول إلى بدر، فاتخذ النبي بمشورة أصحابه أفضل المواقع وسيطر على الماء، وعبأ أصحابه، وكانت راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب وراية الأنصار مع سعد بن عبادة (٦)، وأمرهم أن لا يسلوا السيوف حتى يغشاهم المشركون، وبين لهم أن رجالا من بني هاشم قد أخرجوا كرها، وأوصاهم " فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله " (٧)، وكانت زعامة البطون على علم بحقيقة ما شعر الهاشميين في مكة عندما أكرهتهم على الخروج، إذ قالت: " والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هوأكم مع محمد " (٨).

التقى الجيشان، فرفع أبو جهل يديه بالدعاء وقال بخشوع مصطنع: " اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فاحنه الغداة " (٩)، ورفع النبي صلى الله عليه وآله

يديه إلى السماء ودعا ربه: " اللهم إنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال، ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم احنهم الغداة " (١٠).

تقدم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد للمبارزة، ونادى مناديتهم: يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا. فقال النبي صلى الله عليه وآله: " يا بني هاشم، قوموا

فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله "،
وكلف حمزة وعلياً وعبيد الله بن الحارث أن يخرجوا للمبارزة، فكانت النتيجة أن
قتل المشركون الثلاثة، وقطعت ساق عبيد الله، فحمل إلى النبي صلى الله عليه وآله
فقال: يا رسول

الله، أأنت شهيداً؟ قال: بلى، قال: أما والله لو كان أبو طالب حياً لعلم
أني أحق بما قال حين قال:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً* ولما نطاعن دونه وناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله* ونذهل عن أبنائنا والحلائل (١١)
صعقت بطون قريش لهذه النتيجة واهتزت، وشهر أبو جهل سيفه وحرص
المشركين على الهجوم العام، والتحمت الفئتان، فئة قليلة مؤمنة، وأخرى كثيرة
مشركة.

وأبلى الحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله بلاء حسناً، وقاتل الإمام علي
بقدره

تفوق الوصف والتصوير، حتى لفت أنظار أهل الأرض وأهل السماء، فنادى ملك من
السماء، لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي (١٢).

لقد تألق نجم ولي العهد في بدر، وأدرك الكثير أن الله أعلم حيث يجعل
رسالته، فقد أثنى علي في المشركين، وقتل هو وحمزة وحدهما نصف ما قتل من
المشركين،

ومما يدعو للعجب أن بطولة علي صارت مسبة له، ووسيلة للتحريض عليه، وإبعاده عن
حقه بالإمامة من بعد النبي صلى الله عليه وآله، فبعد عشرين سنة يقول عمر بن
الخطاب

لسعيد بن العاص: "إني لأراك معرضاً، تظن أنني قتلت أباك، والله ما قتلت
أباك"، يريد أن يذكره بأن الذي قتل أباه في بدر هو علي بن أبي طالب.
وانجلى معركة بدر بهزيمة بطون قريش هزيمة منكراً، وبقتل سبعين رجلاً من أفضل
رجال البطون، وبأسر مثلهم، وعلم العرب بنتائج المعركة،
وأدركوا أن قوة خارقة تدعم محمداً، وأن دينه أصبح واقعا مفروضاً، وأن
طريقه هو طريق النصر والمجد.

٣ - كان الحسد هو الدافع الأساسي لعداوة بطون قريش للنبي صلى الله عليه وآله ولبنى هاشم، وكرهيتها أن يتميز عليها الهاشميون بميزة لا تستطيع الإتيان بمثلها وهي النبوة، وأما بعد معركة بدر وما سال فيها من دماء المشركين، فقد أضيف دافع آخر للعداء وهو الحقد على محمد وآله، الذي امتلأت به نفوس البطون، وظل ينمو فيها على الأيام، ولم يفارقها لحظة واحدة، كيف يمكن لأبي سفيان أن يحب عليا وقد قتل ابنه وعمه؟! وكيف يمكن لمعاوية أن يحب عليا وقد قتل شقيقه وجده وخاله وابن خاله وعمومته؟! وكيف يمكن لخالد بن الوليد وعثمان بن عفان والوليد بن عقبة بن معيط أن يحبوا الحمزة وعليا، وسيوفهما تقطر بدم الآباء والأعمام والأخوال؟! يسهل التصور أن يحبوا النبي، ويصعب التصور أن يحبوا آل النبي، لقد لاحقهم الوتر، وأورثوه لذرياتهم، وكتب على أهل بيت محمد طوال التاريخ أن يدفعوا ضريبة باهضة لانتمائهم الصادق لمحمد ولدين محمد. النفس البشرية ليست زرا كهربائيا تضىء وتطفأ بحركة، إنها عالم من العواطف والانفعالات، وإنه من المتعذر على الإنسان عمليا أن يحب من قتل ابنه أو أباه أو أخاه أو أحد أقاربه، وإن كان الذي قتلهم إنما قتلهم على الإيمان وجهادا في سبيل الله، لكن هذا كله لا يمنع انفعالات النفس البشرية وثورة أشجانها من حين إلى حين، فمحمد هو الأمر، وعلي والحمزة هما المنفذان اللذان نكلا بالبطون. وأكثر بطون قريش بغضا لنبي وآله هم " بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم "، هكذا رتبهم النبي صلى الله عليه وآله (١٣)، وهذا النص علاوة على أنه صادر عن

لا ينطق عن الهوى، يمثل قراءة دقيقة لوقائع الأمور، فأكثر القتلى في بدر كانوا من هذه البطون الثلاثة، والمتنافسون على زعامة بطون قريش هم سادات تلك البطون الثلاثة، وحسب حسابات هذه البطون، فإنها الأكثر تضررا من النبوة الهاشمية

والتميز الهاشمي.
الذين قتلوا من بطون قريش تركوا جراحا نازفة في قلوب ذويهم، سواء
من بقي على الشرك منهم ومن أصبح من أتباع محمد صلى الله عليه وآله، فهذا حذيفة
بن عتبة بن

ربيعة، كان من أصحاب محمد، وأبوه وأخوه كانوا من أركان البطون، وقد شاهدتهم
بأم عينيه يتجرعون كؤوس الموت أمامه، فبقي موتهم غصة في نفسه - رغم إسلامه -
وقد عبر بصورة عفوية وبتصرف لا شعوري عن أحاسيسه الدفينة حينما سمع النبي
يطلب من أصحابه أن لا يتعرضوا لأحد من بني هاشم لأنهم أكرهوا على الخروج،
فقال

بنحو لا إرادي: " أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس عم
النبي؟! والله لئن لقيته لألجمنه السيف " (١٤).

ومثل حذيفة حذيفات، فهل يعقل أن يقتل خال عمر بن الخطاب،
وأولاد عمومة أبي بكر، وعمومة عثمان، ولا يترك قتلهم غصات في قلوب ذويهم؟
غاية الأمر أن حذيفة صادق وعفوي فلم يخف مشاعره، بينما غيره يتمتع بقدر من
الدهاء وضبط الأعصاب، فيخفي مشاعره رغبة أو رهبة، ولكنها لن تختفي
إلى الأبد، ومن الممكن بكل المعايير الإنسانية أن تتهيج هذه المشاعر كلما شاهدوا
عليا أو الحمزة أو النبي أو أحدا من بني هاشم.

لقد ظل الحقد يعتمل في قلوب ذوي المقتولين، ولم تهدأ جراحهم بموت
النبي ولا بقتل حمزة ولا بموت علي، وإنما بقيت نازفة يورثها الآباء للأبناء،
فعندما جرى برأس الحسين ورؤوس الطيبين من أهل بيت محمد بعد مذبحه كربلاء
ووضعت بين يدي يزيد بن معاوية، تمثل بقول ابن الزبيرى:

قد قتلنا القرم من ساداتهم* وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم* من بني أحمد ما كان فعل (١٥)

فبعد ٥٨ عاما يعرب حفيد أبي سفيان وهند عن مشاعره الدفينة، ويغمره الفرح والسرور بقتل الحسين (ع) كما غمر أباه وأجداده عندما قتل الحمزة وعلي والحسن.

ولم يقصر الحاقدون حقدهم على محمد وآل محمد، بل حقدوا على كل الموالين لهم، فبعد مرور ٥٨ عاما على وقعة بدر أرسل مسلم بن عقبة رؤوس المتمردين على يزيد بن معاوية من أهل المدينة، فلما ألقيت الرؤوس بين يديه جعل يتمثل بشعر ابن الزبير:

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا * ملك جاء ولا وحي نزل (١٦)

وبالإجمال: فإن نجاح النبوة الهاشمية، وتؤكد التميز الهاشمي،

والجراح التي نتجت عن قتلى معركة بدر، والغصص التي تجرعها الذين اتبعوا محمدا من بطون قريش، تركت بصماتها على التاريخ الإسلامي كله، وظلت تعتمل في النفوس، وكانت من أبرز الأسباب التي قوضت النظام السياسي الإسلامي، وأفرغته من مضمونه ومحتواه، وأخرجت المنظومة الحقوقية الإلهية من دائرة التأثير.

٤ - كانت النتائج المذهلة وغير المتوقعة لمعركة بدر صدمة عنيفة

لبطون قريش، وليهود المدينة، وللمنافقين، وكان البيت الأموي عامة وأبو

سفيان خاصة من أكثر البطون إحساسا بالنكبة والفجيعة، فقد قتل منهم في بدر

أحد عشر سييدا من سادات الوادي على حد تعبير أبي سفيان، منهم حنظلة الابن

البكر لأبي سفيان، وأمام ضغط الأسرة وفيض مشاعر الحقد والإحباط حرم

أبو سفيان على نفسه الدهن حتى يثأر من محمد، ثم خرج مع مجموعة من أربعين

أو مئتي فارس، ودخل المدينة ليلا، ونزل في بيت سلام بن مشكم اليهودي،

واستقصوا أخبار النبي، وخرجوا مع الفجر فقتلوا رجلا من الأنصار وأجيرا له، وأهلكوا حرثه، وأحرقوا بيتين وأهلكوا حرثا بالعريض، ثم ولوا مدبرين (١٧). واعتقد أبو سفيان أنه قد تحلل من يمينه، وأنه قد أوصل بنفسه رسالة ضمنية لمحمد وآل محمد بأن الثأر والانتقام لقتلى بدر قدر لا مفر منه. كانت العير التي رجعت من الشام موقوفة في دار الندوة، لم توزع بسبب غيبة البطون في بدر، فاجتمعت زعامة البطون في دار الندوة، واتفقت على تخصيص كامل هذه العير لتجهيز جيش يقوده أبو سفيان للهجوم على المسلمين، وشكلت أربعة وفود لتسير في العرب وتطلب منهم النصر، وكانت هذا الوفود برئاسة عمرو بن العاص، وهبيرة بن وهب، وابن الزبير، وأبي عزت الجمحي. وبالفعل تحركت هذه الوفود الأربعة، وحقت نجاحا بتأليب العرب وجمعهم لقتال محمد (ص). ولكي تتذكر البطون قتلى بدر، فلا ترجع حتى تدرك ثأرها أو تموت دونه، قرروا إخراج النساء معهم، ولقد لقي هذا القرار معارضة في البداية، لكن هنذا زوجة أبي سفيان تصدت للمعارضين، وأصرت على خروج الحريم ليشهدن القتال والثأر للأحبة الذين قتلهم محمد وآله (١٨).

ولما أجمعت قريش على الخروج كتب العباس بن بن عبد المطلب كتابا إلى النبي صلى الله عليه وآله يخبره فيه بأن قريشا قد أعدت للهجوم عليه بثلاثة آلاف مقاتل (١٩).

تحرك جيش المشركين حتى وصل إلى منطقة جبل أحد جنوب المدينة، فاجتمع النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه للمشاورة، وكان رأي النبي وبعض المسلمين أن يتحصن المسلمون في المدينة، فإن دخلها عليهم المشركون قاتلوهم في الأزقة، وهم أعلم بها من المشركين، ورموهم من فوق الأبنية، ولكن الأكثرية رأيت الخروج لملاقاة العدو، خشية أن يفسر البقاء في المدينة بالجبن، فاستجاب النبي

لرأي الأكثرية، وأمرهم بالاستعداد للخروج، ولبس عدة الحرب، وشعر الأكثرية بأنهم أكرهوا الرسول على الخروج فندموا وقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك. فقال: " دعوتكم فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه "، ودفع النبي لواء المهاجرين إلى علي، ولواء الخزرج إلى سعد بن عباد، ولواء الأوس إلى سعد بن معاذ، وأرجع اليهود الذين خرجوا معه، وانصرف عبد الله بن أبي ومن والاه.

سار النبي صلى الله عليه وآله حتى وصل إلى جبل أحد، فجعل الجبل خلف ظهره، واستقبل المدينة، وأمر خمسين من الرماة بالمرابطة على جبل أحد، وقال لهم: " احموا لنا ظهورنا، فإننا نخاف أن نؤتى من ورائنا "، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل معسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا، وارشقوا خيلهم بالنبل، اللهم إني أشهدك عليهم "، ثم وقف أمام أصحابه ونهى أن يقاتل أحد حتى يأمره (٢٠).

التقى الجيشان، وبرز من صفوف المشركين طلحة بن أبي طلحة وصاح، هل من مبارز؟ فانبرى له علي (ع)، واختلفا بضربتين، وأصاب علي رجل طلحة فقطعها، فكان بذلك مقتله، فسر رسول الله وكبير، وكبير المسلمون، ثم هجموا على المشركين (٢١).

وقتل علي حملة لواء المشركين وكانوا ثمانية، فحمل اللواء عبد لهم، فألحقه الإمام علي بهم (٢٢)، وعلى إثر صولات علي والحمزة انكشف المشركون منهزمين، والمسلمون يلاحقونهم حتى أجلوهم عن معسكرهم، وكان الرماة، الذين أوصاهم النبي بالبقاء على الجبل يشاهدون ذلك، فلما رأوا المسلمين يحوزون الغنائم من معسكر المشركين، تركوا مواقعهم وانطلقوا إلى المعسكر ييغون الاشتراك

في المغنم، ولم يبق على الجبل إلا عشرة، فاستغل خالد بن الوليد هذه الفرصة، فهجم على الجبل ومعه عكرمة، وقتلوا من بقي من الرماة، وهجموا على المسلمين، وقلبوا موازين القوى، وفوجئ المسلمون بما حدث، وأخذ بعضهم يضرب بعضا، وفر عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهما (٢٣). وزاد الطين بله أن المشركين تمكنوا

من الغدر بحمزة فقتلوه، وأشيع أن النبي قد قتل، فزلزل المسلمون زلزالا شديدا، وصبر الإمام علي (ع) وقاتل دون النبي صلى الله عليه وآله قتالا يفوق التصور، حتى قال ابن إسحاق: كان الفتح يوم أحد بصبر علي (٢٤)، وكان من الذين ثبتوا أيضا سعد بن عبادة والمقداد والحباب بن منذر وكعب وأبو دجاجة وسهل بن حنيف. احتاج المسلمون إلى وقت حتى أعادوا تنظيم أنفسهم، وعاد الذين فروا من القتال إلى الميدان، وأحس المشركون بأنهم قد تأروا لقتلاهم في بدر، فقد قتلوا ٧٠ رجلا من الأنصار وأربعة من المهاجرين منهم حمزة عم النبي وجناحه وأصيب النبي في جبهته ورباعيته وشفته، ورأوا أن من حسن التدبير أن يحافظوا على بريق هذا النصر، فانسحبوا من المعركة، وأقبل المسلمون على قتلاهم، وكان أول من أحضر حمزة، فصلى عليه النبي أربعا، ثم جمع إليه الشهداء، وكلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة، فصلى عليه وعلى الشهداء،

حتى صلى عليه سبعين مرة (٢٥).

من المؤكد أن بطون قريش قد انتصرت في معركة أحد، ولكن من المؤكد أيضا أن المسلمين لم ينهزموا لقلة عددهم، فقد انتصروا في معركة بدر رغم قلة العدد، وإنما يكمن سبب هزيمتهم في مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وآله بعدم البقاء

في المدينة أولا، وبعدم الثبات على المرابطة في الجبل ثانيا، وطوال التاريخ الإسلامي كان مكمن الكوارث والنكبات التي حلت بالأمة الإسلامية هو مخالفة الرسول، واعتماد الرأي بدلا من النص.

٥ - أحدثت هزيمة المسلمين هزة في التركيبة الهشة لمجتمع المدينة وما حولها، وأشاع اليهود أن محمداً طالب ملك، وأنه لم يصب نبي قط في بدنه بهذا النحو، وتنمر المنافقون وأخذوا يثبطون عزائم الناس ويثنون الأراجيف. أدرك النبي صلى الله عليه وآله أن ترك الأمور على ما هي عليه دون اتخاذ إجراء عاجل سيضعف هزة المجتمع اليشربي، ويكون ضربة معنوية يصعب التنبؤ بآثارها. فأصدر أوامره بالاستعداد للخروج لملاقاة بطون قريش غداً، وبعد صلاة الصبح نادى مناديه: (إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس)، وخرج المسلمون حتى وصلوا إلى حمراء الأسد فعسكروا هناك، وكان معسكر قريش بالروحاء، وهول معبد الخزاعي الأمر لبطون قريش، فأخبرهم أن محمداً وأصحابه يتحرقون على قريش بمثل النيران، (وقد اجتمع حوله الأوس والخزرج وتعاهدوا أن لا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم).
ذهل أبو سفيان وأركان حربه من سرعة إعادة النبي لتنظيم صفوف أصحابه ومن رده العاجل، وأدركوا أنهم إذا اصطدموا معه في هذه الحال فسوف يهزمهم حتماً، ومر بأبي سفيان نفر متوجهين إلى المدينة. فوعدهم بمكافأة إذا أخبروا محمداً بأن بطون قريش قد أجمعت على الرجوع إليه، وكان يريد بذلك أن يضمن توقف النبي عن ملاحقته، ثم أصدر أوامره بالعودة إلى مكة فوراً (٢٦).
لقد كانت حركة النبي حركة بارعة، أعادت الروح المعنوية للمسلمين، وخطفت بريق انتصار قريش، فرجعت وكأنها مهزومة، وأبلغت رسالة لليهود والمنافقين والقبائل المحيطة بالمدينة التي كانت تنتظر من يقع حتى تنقض عليه وتأكله، ومن هنا أعلن تعالى رضاه عن "الذين استجابوا لله ولرَسُول من بعد ما أصابهم القرح" (٢٧).

٦ - كانت قبيلة بني النضير اليهودية تسكن المدينة وترتبط مع النبي بعهود ومواثيق، لكنها خططت لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله، وعلم بالمؤامرة، فوجه إليهم إنذاراً بأن

يجلوا من المدينة، ولما رفضوا الجلاء قام النبي بمحاصرتهم، فاستسلموا على أن يخرجوا من المدينة ولهم ما حملت الإبل، واستقر معظمهم في منطقة خيبر، ومن هناك شكلوا وفدا برئاسة حبي بن أخطب للتنسيق مع بطون قريش لحرب المسلمين، وقال رئيسهم: (جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله)، فأجابه أبو سفيان: (إن أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد)، وتحالفوا داخل الكعبة على " أن تكون الكلمة واحدة على هذا الرجل (النبي) ما بقي من بطون قريش ومن اليهود رجل " (٢٨).

تحرك الحليفان للتأليب على النبي صلى الله عليه وآله، وكات النتيجة أن انضمت إليهم قبيلة غطفان وبنو سليم وبنو أسد وبنو فزارة وبنو مرة وأشجع، وتم الاتفاق فيما بعد مع يهود بني قريضة المقيمين في المدينة وعددهم ٧٥٠ مقاتلاً، على أن ينضموا إلى التحالف، وتكون مهمتهم الانقضاض على المسلمين من الداخل، وطعنهم من الخلف.

تمكنت بطون قريش أن تجمع عشرة آلاف وسبعمئة وخمسين مقاتلاً، وهو تجمع لم تشهد الجزيرة مثله في تاريخها الطويل، والهدف المشترك لكل الأحزاب المكونة لهذا التجمع هو القضاء على محمد ومن والاه واستئصالهم من الوجود،

ومن الواضح أن أول أوليائه هم أهل بيته الكرام (٢٩). كان أبو سفيان هو القائد العام لتجمع الأحزاب، ومن أركان حربه: ابنه يزيد ومعاوية، وعكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور سفيان بن عبد شمس، وطلحة الأسدي، وعينية بن حصن، وعمرو

بن عبد ود، وهو أشجع وأقوى رجالات البطون، ومن أركان حربه من اليهود: حبي بن أخطب وكنانة بن الحقيق وأخوه هوده وأبو عامر الراهب وكعب بن أسعد (٣٠).

تحصن النبي (ص) بالمدينة، وحفر أمامها خندقا خلال ستة أيام، ثم جمع أصحابه وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل، وأعطى الراية لولي عهده علي بن أبي طالب، وانتظر قدوم الأحزاب.

كان الطريق لدخول المدينة منحصرًا بالمنطقة التي قرر الرسول حفر الخندق فيها، إذ أن ما حولها من المناطق كان حرات مفروشة بحجارة يتعذر على الإنسان أو الإبل أو الخيل السير فوقها، فلما وصلت الأحزاب فوجئت بالخندق مفاجأة تامة، وأخذت تبحث عن منفذ تدخل منه، وجرت عدة محاولات لاجتياز الخندق قام بها كل من خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة وعمرو بن العاص، لكنها جميعا باءت بالفشل.

وبرز عمرو بن عبد ود، وهو أقوى رجل في تجمع الأحزاب قاطبة، ووقف أمام الخندق يتحدى المسلمين ويدعو للمبارزة دون أن يجرؤ أحد منهم على التقدم لمنزلته مما دعاه إلى القول:

ولقد بححت من النداء * بجمعكم هل من مبارز

استأذن الإمام علي رسول الله في التقدم لمبارزة عمرو ثلاثا، فأذن له النبي في الثالثة، وأعطاه سيفه وعممه ودعا له بقوله: " اللهم أعنه عليه ". والتقى الرجلان، وثارت غبرة، ثم لم يلبث الناس أن سمعوا التكبير، فأيقنوا بأن عليا قد قتل عمرا، فصعقت الأحزاب من هول النبأ، وفرح المسلمون وتفاءلوا خيرا.

كان مقتل عمرو ضربة معنوية موجعة لتجمع الأحزاب، ونصرا مؤزرا للمسلمين،

فقال النبي صلى الله عليه وآله: " لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق

أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة " (٣١).

لقد حسمت هذه المبارزة الموقف لصالح المسلمين، وكفى الله بها المؤمنين القتال حقاً، وكان ابن مسعود يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب (٣٢).

كان الوقت الذي زحفت فيه الأحزاب وقت برد شديد، وأجرى النبي مفاوضات مع زعماء غطفان الذين لم يكن لهم في هذه الحرب من مصلحة سوى ما وعدهم اليهود به من إعطائهم تمر خبير مدة سنة (٣٣)، فكانوا مهيبين للانسحاب من التجمع، فقد أدركوا أن أملهم بالمكاسب المادية مجرد أحلام، وفقدت البطون ثقتها باليهود بعدما أخلفهم بنو قريظة ما اتفقوا عليه، واكتشف اليهود أن البطون سترحل وتتركهم وحدهم أمام محمد لينكل بهم، فانهارت بذلك أهم أسس تحالف الأحزاب، وأكثر النبي صلى الله عليه وآله من الدعاء " اللهم

منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب " حتى استجاب الله تعالى دعاءه في اليوم الثالث، فعصفت الريح وزمجرت، واضطر أبو سفيان لإلقاء كلمة حلل فيها الموقف قائلاً: " إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع، وأجذب الجناب، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإنني مرتحل " (٣٤).

وهكذا تراجعت الأحزاب وهي تجر أذيال الخيبة والانكسار، ونجت المدينة المنورة من بطش أعظم تجمع عرفه تاريخ المواجهة مع النبي صلى الله عليه وآله.

* الفصل الثالث: الاعتراف بالوجود الواقعي للنبي صلى الله عليه وآله.

١ - أدرك العرب وعلى رأسهم بطون قريش أن شعار (استئصال محمد من الوجود) وهم غير قابل للتحقيق، وأن النبي يفرض سلطانه ويوطده يوما بعد يوم، وأنه تمكن من إحكام محاصرة الطرق التجارية التي تسلكها قوافل بطون قريش إلى بلاد الشام سواء عن طريق المدينة أو عن طريق العراق، وهو مصر على إبقاء حالة الحصار هذه حتى تخلي بطون قريش بينه وبين العرب.

لم يعد أمام البطون سوى التسليم بالوجود الواقعي لمحمد صلى الله عليه وآله، فقد أكلت

الحرب معه أموالها وخيرة أبنائها، ولم تعد قادرة على البقاء في حالة استنفار عسكري دائم، ولم تعد تحتل مواجهة الحصار التجاري، أو الاستمرار بمعاداة محمد ومحاربه نيابة عن العرب، وأدركت أن من مصلحتها الاستجابة لطلب النبي صلى الله عليه وآله،

وهو لا يطلب منها الكثير، فغاية ما يطلبه أن تخلي بينه وبين العرب، فإن أصابه العرب كفوها إياه، وإن لم يصيبوه فإنه لن يتعرض لبطون قريش بالأذى. لقد انتهت زعامة البطون إلى هذه القناعة وارتاحت لها، لكنها لا تدري كيف تعبر عنها دون أن تجرح كبرياءها، ولا كيف يمكنها أن تتفاوض مع محمد بعد كل

الذي كان منها طوال ١٩ عاما.

٢ - أدرك النبي صلى الله عليه وآله أن بطون قريش في حيرة من أمرها، وأنها تبحث جديا عن مخرج من ورطتها يزيل حالة التوتر الدائم بينه وبينها بشكل يحفظ لها ما تبقي من كبريائها، فصمم على مساعدتها وجرها باللطف إلى مائدة المفاوضات، ولأجل ذلك اتخذ قرارا بالعمرة وزيارة البيت الحرام، فإن حج البيت وزيارته حق مطلق لكل واحد من الناس، فما الذي يمنع محمدا بوصفه واحدا

من الناس من أن يزور بيت الله الحرام؟ وما الذي يمنع المهاجرين والأنصار من ذلك؟

إن قريشا عندما تعلم بأن محمداً ومن معه قد جاؤوا لأداء العمرة ستندهش حتماً، وستتخذ أحد موقفين، فإما أن تأذن لهم بأداء العمرة، أو تمنعهم من ذلك، فتخرج نفسها أمام العرب، لإخلالها بواجبها نحو البيت المتمثل بحمايته وتسهيل أمور حجاجه وزواره، وعلى كل فإن الإذن أو المنع لا يحصل إلا بعد تردد ومفاوضات، وفي هذا مكسب للنبي صلى الله عليه وآله، إذ أن في المفاوضات اعترافاً رسمياً

من البطون بوجوده بوصفه كيانا مقابلاً لها. أذاع النبي صلى الله عليه وآله قراره بأداء العمرة، وأمر أصحابه بأن يتجهزوا، على أن يخرجوا بغير سلاح إلا السيوف في الأغمد، وخرج من المدينة معتمراً مع (١٦٠٠) من أصحابه (٣٥).

بلغ قريش خبر خروج النبي وصحبه معتمرين ومعهم الهدى، فراعها ذلك، واتخذت الترتيبات اللازمة لمنعهم من أداء العمرة، فوضعت العيون على الجبال لرصد تحركات النبي صلى الله عليه وآله، وقدمت مئتي فارس إلى كراع الغميم، واستنفرت من يطيعها

من الأحابيش، واستعانت بثقيف، وخرجت بطون قريش ومعها النساء والأطفال، وعسكر الجميع في منطقة بلدح (٣٦).

أحيط النبي صلى الله عليه وآله علماً بقرار بطون قريش، فاستقر في الحديبية، فهو ليس في عجلة من أمره، وجاءه وفد من خزاعة وهم حلفاؤه وحلفاء آبائه وأجداده، فقال لهم: "إنا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه" (٣٧)، وقام الخزاعيون بتبليغ رسالة النبي لقريش التي أرسلت عروة بن مسعود ليتأكد من صحة ما نقله وفد خزاعة، فعاد يؤكد لهم ذلك، وهو مبهور بشخصية النبي وبعمق العلاقة بينه وبين أصحابه. وجاء رئيس الأحابيش حليس بن علقمة إلى مقر رسول الله، فشاهد الهدى

عليه القلائد، فعاد إلى قريش قائلاً: " أما والله ما على هذا حالفناكم، ولا عاقدناكم على أنت تصدوا عن بيت الله من جاء معظما لحرمة مؤديا لحقه، والذي نفسي بيده لتخلن بينه وبين ما جاء به، أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد"، فقالت له زعامة البطون: " اكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به " (٣٨).

كلف النبي عمر بن الخطاب ليذهب إلى قريش، فرفض عمر الذهاب لأنه خاف من قريش على نفسه، وعندئذ كلف الرسول عثمان بن عفان ليقول لقريش: " إن محمدا لم يأت لقتال أحد، إنما جاء ومن معه زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته، ومعهم الهدى ينحرونه وينصرفون " (٣٩).

بعد ذهاب عثمان أشيع بأنه قد قتل، عندئذ قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: إن الله أمرني بالبيعة، فبايعه من معه من المسلمين، وانتشر نبأ البيعة، وسمعت به بطون قريش، وأدركت أن النبي جاد، وأنه سيقاتل إن لم يأذنوا له بدخول المسجد الحرام، فأصيبت قريش بالرعب، إذ أن استعدادها ينحصر في منع محمد من أداء العمرة، ولم تكن مستعدة لقتاله، فرأت أن من الخير لها أن تصالح محمدا، وأن تعقد معه هدنة طويلة الأجل على أن ينصرف عنها هذا العام ويعود للعمرة في العام القابل، لكي لا تفهم العرب أن محمدا دخل مكة عنوة على رغم البطون، ولأجل ذلك اختارت قريش ثلاثة من رجالها، وأوفدتهم للتفاوض مع النبي نيابة عنها (٤٠).

٣ - وأخيرا جلست بطون قريش ممثلة بوفدها لكي تتفاوض مباشرة مع محمد الذي لم تعترف بوجوده طوال مدة ١٩ عاما، وتمخضت المفاوضات عن كتابة صلح الحديبية الذي كان من أهم بنوده:

أولا - وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

ثانيا - من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل.

ثالثا - يرجع محمد عامه هذا بأصحابه، ويدخلونها في العام القادم، فيقيمون ثلاثا، ولا يحملون معهم إلا سلاح المسافر السيوف في القرب (٤١).
كتب عقد الصلح الإمام علي، وأخذ كل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسهيل بن عمرو

مندوب البطون نسخة منه.

لقد أعطى اتفاق الحديبية محمدا كل ما يريده، وجاء اعتراف البطون بحق محمد في استقطاب العرب حوله ليقرب كل المفاهيم، ويلغي دفعة واحدة آثار إعلام البطون، وليخلق مناخا جديدا للدعوة، ومجالا رحيبا للدولة الإسلامية، ذلك أن الدين الإسلامي قائم على الكلمة الطيبة والإقناع واحترام العقل، فإذا توفرت أجواء الحرية وسمع الناس حجة محمد صلى الله عليه وآله وقارنوها بحجة البطون وإعلامها،

فسوف يدخلون في دين الله، وبعد وقت يطول أو يقصر ستجد بطون قريش نفسها معزولة، إذ أنها لم تأت بدين جديد، وليس لديها ما تقدمه، ولذلك كان هذا الصلح فتحا حقيقيا لمكة، وهزيمة ساحقة لبطون قريش، ونصرا مؤزرا لدبلوماسية الرسول صلى الله عليه وآله.

ولم يرض عمر بن الخطاب بمعاودة الصلح التي رضي الله عنها، واعتبرها فتحا مبينا، وأمر رسوله بقبولها والتوقيع عليها، لقد اعتبر عمر هذه المعاهدة (دنية) وقال للرسول أمام المسلمين: (علام نعطي الدنيا في ديننا؟)، وظهر الرجل بمظهر من يزايد على الرسول بالدين الذي علمه الرسول إياه! وقد أجابه النبي صلى الله عليه وآله بقوله: "أنا عبد الله ورسوله"، بمعنى أن الله تعالى هو الذي

أمره بذلك، وهو عبد الله يفعل ما يؤمر، ورسول الله يتقيد بأوامر من أرسله.

وأعلن عمر أنه لو وجد أعوانا ما أعطى الدنيا، أي ما سمح بتوقيع هذا الصلح، ولقد استخف نفرا من (أسلم) وغضب الكثير لغضبه (٤٢)، وحاول أن يلغي المعاهدة، ولكنه لم ينجح، ومنذ ذلك التاريخ أدرك أهمية وجود الأعوان لغرض رأيه (٤٣).

ومن الغريب أن يصدر هذا الموقف من عمر بن الخطاب وهو الذي رفض بالأمس أن يحمل رسالة من النبي إلى قريش معذرا بأنه يخاف قريشا على نفسه! وهو نفس عمر الذي اشترك في معركة بدر ولم يثبت أنه قتل مشركا أو جرحه، وهو نفسه الذي هرب من معركة أحد، وقد ذكره الرسول بذلك يوم أقبل عليه فقال: " أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ " (٤٤).

وبالرغم من معارضة عمر الشديدة لصلح الحديبية ورده على الله ورسوله، فإن أوليائه يسجلونه شاهدا على هذا الصلح، ويؤكدون أنه وقع عليه. وعلى أي حال فقد تغلب الرسول على الاعتراض والمزايدة، ويوم الفتح استدعى عمر وقال له: " هذا الذي قلت لكم "، فقال عمر: أي رسول الله، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية (٤٥).

* الفصل الرابع - الإنتصار الأعظم (فتح مكة).

١ - كانت الهدنة التي تمخض عنها صلح الحديبية فرصة ذهبية للنبي صلى الله عليه وآله،

إذ قضى خلالها على خطر اليهود، ففتح خيبر وأم القرى وتيماء وفدك، وصار اليهود رعايا أقلية، وكانوا من قبل كيانات.

وعندما تم صلح الحديبية وختل البطون بين محمد وبين العرب، وجرى تبادل نسخ كتاب الصلح ففز الحاضرون من خزاعة وأعلنوا دخولهم في عقد محمد وعهده، وقالوا: إنهم يفعلون ذلك نيابة عن خزاعة كلها، ودخل من حضر من بني بكر في حلف قريش وقالوا: إنهم يفعلون ذلك نيابة عن بني بكر كلها (٤٦)، وكان بين خزاعة وبني بكر عداوات قديمة هدأت ولكنها لم تزل.

وكانت قبيلة خزاعة حليفة لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله، ولما جاء الإسلام

اعتنقه الكثير من أفرادها، وتعاطف مسلمهم ومشركهم مع النبي أثناء صراعه مع بطون قريش، وهم الذين أخبروا النبي صلى الله عليه وآله بمسيرة جيش الأحزاب إليه.

وجاءت الشرارة التي أجمت نار العداوة مجددا بين خزاعة وبني بكر يوم هجا أنس بن ذنيم الديلي رسول الله، فسمعه غلام من خزاعة فضربه وشججه، فثار بنو بكر واعتقدوا أنها الفرصة الملائمة للانتقام من خزاعة، واتصلوا بحلفائهم من بطون قريش، فقدموا لهم المساعدة بالسلاح والكرام والرجال سرا، فشنوا على خزاعة هجوما مباغتاً، وقتلوا منهم ٢٣ رجلاً، وبهذا تكون البطون قد نقضت عملياً عقدها وعهدها مع النبي، وألغت الهدنة، لتعود حالة الحرب بين الطرفين إلى ما كانت عليه.

وجاء وفد خزاعة برئاسة عمرو بن سالم، يخبر النبي بما جرى ويطلب منه النصرة، وأنشد عمرو قصيدته المشهورة ومنها:

اللهم إني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك إلا تلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا (٤٧)
فغضب النبي صلى الله عليه وآله غضبا شديدا، ولكنه كتم غضبه، وصمم نهائيا
على أن يضع حدا لوجود بطون قريش، وأن يجبرها على الاستسلام، ولتحقيق هذا
الهدف جهز الرسول عشرة آلاف مقاتل، وخطط لأن يفتح مكة بدون إراقة دماء،
فتحرك بجيشه دون أن يعلم أحد بالجهة التي يقصدها، ولم تشعر البطون إلا
وجنود الله يحيطون بعاصمة الشرك إحاطة السوار بالمعصم.
كان أبو سفيان خارج مكة فلما عاد إليها فوجئ بسيطرة المسلمين
على الموقف، وتلقاه العباس بن عبد المطلب، واقترح عليه أن يذهب به إلى
رسول الله ليستأمن له، ووافق النبي (ص) على أن يؤمن أبا سفيان حتى الغداة (٤٨).
وفي اليوم الثاني اقتيد أبو سفيان إلى النبي كما يقاد الجدي (٤٩)، وخاطبه
النبي قائلا: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟
فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت
أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد. فقال الرسول: ويحك
يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي،
ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا (٥٠).
وتدخل العباس لإنقاذ أبي سفيان قائلا: ويحك أسلم وأشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك (٥١).
فاضطر أبو سفيان لأن ينطق بالشهادتين لكي لا تضرب عنقه، وبقي
في دخيلته ينطوي على حقد دفين على النبي وآله، ولقد مر يوما في خلافة
عثمان على قبر حمزة بن عبد المطلب، فداس عليه برجله وقال: يا أبا عمارة،

إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به (٥٢). وكان رسول الله صلى الله عليه وآله على علم كامل بنفسية أبي سفيان وحقده وجديته في

عداوته للإسلام ولنبي الإسلام ولأهل بيت النبوة، وكان من الطبيعي جدا أن يلغنه لكي يكشف حقيقته للأمة، فقد روى الإمام الحسن (ع) أن رسول الله قد لعن أبا سفيان في سبعة مواطن (٥٣)، ولعنه في صلاة الصبح في الركعة الثانية فقال: " اللهم العن أبا سفيان، وصفوان بن أمية... " (٥٤)، وعن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله: (اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس)، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية (٥٥).

٢ - بفتح مكة سقطت عاصمة الشرك رسميا، وتلقت عقيدة الشرك ضربة قصمت ظهرها تماما، وتغيرت الخارطة السياسية كليا، فأصبحت الدولة الإسلامية هي القوة الوحيدة في بلاد العرب، ولم يعد بوسع أحد أن يعلن عن شركه أو يجاهر بمعارضته لعقيدة التوحيد. وكان تصرف النبي مع المغلوبين من بطون قريش بحجم خلقه العظيم، إذ قال لقادة الشرك ومن والاهم من سكان مكة: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " (٥٦)، والتصق نعت (الطلاق) بهم ولم يقووا على التخلص منه حتى بعد أن نجح انقلابهم المشؤوم وقبضوا على مقاليد الأمور بالقوة، وصاروا رسميا قادة المسلمين بالقمع وقوة السلاح. واغتنم النبي الفرصة وأراد أن يصفي ما تبقى من أوكار الشرك، فاتجه إلى حنين، ومعه كثرة كاثرة من المسلمين سكرى بزهو النصر، ففاجأهم عدوهم فولوا مدبرين، ولكن النبي وأهل بيته ثبتوا حتى

استعادت جموع المسلمين روعها، فكرت بعد فر، وألحقت الهزيمة بعودها (٥٧). ثم اتجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف آخر معاقل الشرك، فتحصن بها أهلها، فحاصرهم النبي، ثم قدر أن الطائف قد سقطت عمليا، وأن أهلها آتوه يوما (٥٨)، فعاد إلى المدينة المنورة يغمره السرور بنصر الله والفتح، وما إن استقر قليلا حتى بدأت الوفود تتقاطر عليه معلنة إسلامها على يديه (٥٩). وخلال تلك الفترة كان النبي يتفقد ما بقي من جيوب الشرك ويرسل سراياه وبعوثه لتطهيرها وهداية أهلها، وارتاحت نفسه الشريفة وهو يرى أن بلاد العرب قد توحدت أول مرة في التاريخ، وبكلفة بشرية لا تتجاوز أربعمئة قتيل، وبمدة زمنية لم تتجاوز تسع سنين، واطمأن قلبه الطاهر وهو يرى دين الإسلام قد أصبح دينا لكل سكان بلاد العرب.

٣ - أقلقت هذه الإنجازات الهائلة مضاجع قادة الدولتين العظمتين. آنذاك خاصة الأباطرة، وأشيع أن الروم قد حشدوا جيشا كبيرا، فاستنفر رسول الله المسلمين، وجهاز حملة كبرى قوامها ثلاثون ألف مقاتل، وسار بهذا الجيش في ظروف صعبة قرابة (٥٠٠) كيلو متر حتى وصل إلى تبوك (٦٠)، وأخضع دومة الجندل، ووطد سلطان الإسلام وهيئته، وأحجم الروم عن ملاقاته بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب، وحققت الحملة أهدافها النفسية، فضلا عن الكم الهائل من العبر والأسرار، فقد جمعت غزوة تبوك الأخيار والأشرار، وثبت للأخيار أن الذين أجرموا يحقدون على محمد وعلى آل محمد، وأن النبي وآله لو فتحوا أقطار الدنيا وملكوها للمجرمين، فلن يرضوا عن محمد وآله، هذا في الوقت الذي يتلفظ فيه أولئك المجرمون بالشهادتين ويدعون الإسلام، وأكبر دليل على ذلك الآيات القرآنية النازلة في غزوة تبوك

والتي فضحتهم (٦١)، ومؤامرتهم الدنيئة على قتل النبي وهو يجتاز العقبة ليلا في طريق عودته من تبوك (٦٢). والمشير للدهشة حقا أنهم في نفس الوقت الذي كانوا يعدون فيه مؤامرة قتل النبي صلى الله عليه وآله، كانوا بينون مسجدا ويرجون من النبي أن يفتحه لهم تبركا به (٦٣).

ولما قيل للنبي: لم لم تقتلهم؟ قال: إني أكره أن يقول الناس: إن محمدا لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه. فقيل: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا بأصحاب. فأجاب النبي صلى الله عليه وآله:

أليس يظهرون أن لا إله إلا الله؟ فقال السائل: بلى، ولا شهادة لهم. فقال النبي: أليس يظهرون أني رسول الله؟ فقال السائل: بلى، ولا شهادة لهم. ولم يستوعب السائل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد نهيت عن قتل أولئك (٦٤).

أراد رسول صلى الله عليه وآله أن هذا الصنف من الناس يتلفظ بالشهادتين، ويمارس الأعمال التي تدل ظاهريا على إسلامه، وإن كانت قلوبهم منطوية على الكفر، وأنه ليس من صلاحية النبي أن يحاكم الناس على نواياهم وما في قلوبهم، نعم قام النبي صلى الله عليه وآله بكشف صفاتهم للمخلصين حتى يحذرهم المسلمون

فلا يقعون في أحابيلهم، ولا ينخدعوا بمظاهرهم، لأنهم هم العدو، وهم الخطر الحقيقي على الإسلام والمسلمين.

* هوامش الباب الثاني:

- ١ - ٢ - مغازي الواقدي ١ / ٩ - ١٤ .
- ٣ - مغازي الواقدي ١ / ٣٢ - ٣٩ .
- ٤ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٦ .
- ٥ - مغازي الواقدي ١ / ٦١ .
- ٦ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٢ .
- ٧ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٢ .
- ٨ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٦ .
- ٩ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٨١ .
- ١٠ - مغازي الواقدي ١ / ٥٩ - ٦٠ .
- ١١ - مغازي الواقدي ١ / ٦٨ - ٧٠ .
- ١٢ - الرياض النضرة للطبري ٢ / ٢٧٢، المرقاة لعلي بن سلطان ٥ / ٥٦٧،
كنز العمال للمتقي الهندي ٢ / ١٥٤، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧ .
- ١٣ - المستدرك للحاكم، الحلية لأبي نعيم، كنز العمال ١١ / ١٦٩ نقلا عن معالم
الفتن - سعيد أيوب ١ / ٤٠٣ .
- ١٤ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٢ .
- ١٥ - الفتوح لابن أعثم ٥ / ٢٤١، مقتل الخوارزمي الحنفي ٢ / ٥٨ .
- ١٦ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٣٩٠، تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٢٤ .
- ١٧ - مغازي الواقدي ١ / ١٨١: طبقات ابن سعد // .
- ١٨ - مغازي الواقدي ١ / ١٩٩ - ٢٠٢ .
- ١٩ - مغازي الواقدي ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

- ٢٠ - مغازي الواقدي ١ / ٢١٠ - ٢٢٥ .
- ٢١ - نور الأبصار ص ٧٨، مغازي الواقدي ١ / ٢٢٦ .
- ٢٢ - تاريخ الطبري ٢ / ١٧، سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٤، الرياض النضرة للطبري ٢ / ١٧٢، المجمع للهيثمي ٦ / ١١٤ .
- ٢٣ - مغازي الواقدي ١ / ٢٣٧ .
- ٢٤ - فضائل الخمسة ٢ / ٣٥٦ .
- ٢٥ - مغازي الواقدي ١ / ٣١٢ - ٣١٩ .
- ٢٦ - مغازي الواقدي ١ / ٣٣٤ - ٣٤٠ .
- ٢٧ - سورة آل عمران (من الآية ١٧٢) .
- ٢٨ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٢ .
- ٢٩ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٦ .
- ٣٠ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٥ .
- ٣١ - مستدرك الصحيحين ٢ / ٣٢، تاريخ بغداد ١٢ / ١٩، فضائل الخمسة ٢ / ٣٥٧ - ٣٦٠ .
- ٣٢ - فضائل الخمسة ٢ / ٣٦٠، ميزان الاعتدال ٢ / ١٧ .
- ٣٣ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٣ .
- ٣٤ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٩٠ .
- ٣٥ - مغازي الواقدي ٢ / ٥٧٤ .
- ٣٦ - مغازي الواقدي ٢ / ٥٧٩ - ٥٨٠ .
- ٣٧ - مغازي الواقدي ٢ / ٥٩٣ .
- ٣٨ - مغازي الواقدي ٢ / ٥٩٩ .
- ٣٩ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٠ .

- ٤٠ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٤ .
- ٤١ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٨ - ٦١٢ .
- ٤٢ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٦ - ٦٠٨ .
- ٤٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٧٩٠ .
- ٤٤ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٩ .
- ٤٥ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٣٣ .
- ٤٦ - مغازي الواقدي ٢ / ٦١٢ .
- ٤٧ - مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٠ - ٧٨٩ .
- ٤٨ - الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٤٥ ، تاريخ الطبري ٢ / ٣٣١ .
- ٤٩ - السيرة الحلبية ١ / ٨٠ .
- ٥٠ - سيرة ابن هشام ٤ / ٤٥ - ٤٦ ، تاريخ الطبري ٢ / ٣٣١ .
- ٥١ - سيرة ابن هشام ٤ / ٤٦ .
- ٥٢ - شرح نهج البلاغة ٤ / ٥١ .
- ٥٣ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٢ - ١٠٣ .
- ٥٤ - تفسير الطبري ٤ / ٥٨ ، نيل الأوطار للشوكاني ١ / ٣٩٨ ، جامع الترمذي / .
- ٤٤ - وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري ص ٢١٧ .
- ٥٦ - تاريخ الطبري ٣ / ١١٧ ، مغازي الواقدي ٢ / ٨٣٧ .
- ٥٧ - تاريخ الطبري ٣ / ١٢٠ ، مغازي الواقدي ٣ / ٨٨٥ ، ٩٢٢ .
- ٥٨ - تاريخ الطبري ٣ / ١٢٨ - ١٣٩ ، مغازي الواقدي ٣ / ٩٢٢ .
- ٥٩ - تاريخ الطبري ٣ / ١٣٩ ، مغازي الواقدي ٣ / ١٤٩ .
- ٦٠ - تاريخ الطبري ٣ / ١٤٢ - ١٧٥ ، مغازي الواقدي ٣ / ٩٨٩ - ١٠٦٠ .

٦١ - راجع هذه الآيات كما ذكرها الواقدي في المغازي ٣ / ١٠٢٢، وما بعدها،
و ١٠٦٠ وما بعدها.
٦٢، ٦٣ - مغازي الواقدي ٣ / ١٠٤٢ - ١٠٤٤.
٦٤ - مغازي الواقدي ٣ / ١٠٨٨.

الباب الثالث
مواجهة البطون للنبي بعد إسلامها

* الفصل الأول - الإمامة.

١ - هناك ثلاثة عناصر أساسية لا بد من توفرها لقيام الدولة الإسلامية، وهي:
أولاً - الإمامة أو المرجعية أو القيادة السياسية، ولا بد أن يكون القائد هو الأعلم بما أنزل الله، والأفضل والأتقى والأقدر حسب علم الله تعالى القائم على الجزم واليقين، فإن لم يكن القائد بهذه الصفات لم تكن القيادة إسلامية، ولم تكن قادرة على تحقيق الغاية من وجودها، وقد تمثلت هذه القيادة أول مرة بشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لحيازته المواصفات المتقدمة بأعلى درجاتها وأكملها.

ثانياً - أن تكون التشريعات أو القوانين الإلهية التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله

هي النافذة والمتحكمة في تصرفات المجتمع والدولة على جميع الأصعدة، فإذا طبق بعض القانون الإلهي وأهمل بعض، لم تتحقق الغاية من وجوده.

ثالثاً - أن تقبل الجماعة المسلمة بالعنصرين المتقدمين معاً، وأما إذا قبلت بأحدهما دون الآخر، فإنها لن تكون مجتمعاً إسلامياً، بل شيئاً آخر بين بين، وستدفع مثل هذه في وقت يطول أو يقصر ضريبة هذا التفريق بين العنصرين. وأهم هذه العناصر الثلاثة هو عنصر القيادة أو الإمامة، إذ لا أحد يفهم المقصود الشرعي من كل نص فهما قائماً على الجزم واليقين إلا الإمام، فهو الملجأ الذي

يلجأ إليه المؤمنون لتلقي البيان الشرعي، وهو المخول بإجابة الأمة عن كل سؤال، فإذا فقدت الأمة إمامها وقائدها الشرعي، أصبحت مثل جسد بغير رأس أو قطع بلا راع، ومن هنا كانت الإمامة ضرورة لا غنى عنها في كل العقائد الإلهية،

ومن هنا فقد اهتم الشارع المقدس ببيان من يتولى منصب الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله،

وأمر بنيه بأن يقدمه للمسلمين إماما وقائدا من بعده، فأعلنت ولاية العهد للإمام علي (ع) في نفس الساعة التي أعلنت فيها النبوة، بل إن الرسول صلى الله عليه وآله

بين في مواضع متعددة طريقة انتقال منصب الإمامة أو القيادة من إمام إلى إمام، لأن أخطر ما يواجه الأمة بعد وفاة قائدها هو الصراع على الرئاسة. إن النبي (ص) لم يحدد شخص الإمام من تلقاء نفسه، وإنما كان متبعا في ذلك لأمر الله واختياره " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " (١)، وقد كان صلى الله عليه وآله يؤكد

للمسلمين أنه عبد الله ورسوله، وأنه يرقب أمر الله ويصدر عنه حتى في الأمور اليسيرة، فكيف بأمر بمستوى خطورة الإمامة، التي هي جزء لا يتجزأ من الدين. ومنذ أن أعلن رسول الله ولاية العهد لعلي بن أبي طالب يوم الدار بقوله: " أنت أخي وخليفتي ووصيي فيهم من بعدي "، لم يصدر أمر إلهي بإلغاء أو نسخ هذا القرار، فبقي ساري

المفعول، بل صدرت نصوص أخرى كثيرة في مناسبات وألسنة مختلفة تؤكد هذا القرار وتوضحه، والمسلمون يعلمون ذلك جيدا، وبطون قريش تعلمه أيضا. ٢ - اعترضت بطون قريش على نبوة محمد، حسدا لبني هاشم وحقدا عليهم، فقاومت رسول الله ٢١ عاما، رافضة الاعتراف بنبوته، وإنما اضطرت البطون، لإعلان اعترافها بالنبوة لتحقق دماءها، بعد أن أصبح النبي قوة لا يمكن الوقوف بوجهها،

ولا يعقل فيمن هذه حالهم أن تغير عواطفهم ومواقفهم حقيقة وواقعا بمجرد التلفظ بالشهادتين، ومن هنا فإن الذين اعترضوا على نبوة محمد وهم بطون قريش، هم الذين اعترضوا على إمامة علي، والذين اتحدوا لإجهاض نبوة محمد هم أنفسهم الذين اتحدوا لإجهاض إمامة علي وأهل بيت النبوة.

بعد فتح مكة وتصفية جيوب الشرك، أدركت بطون قريش - المهاجرون منهم والطلقاء - أن النبي قد بترتيب أوضاع عصر ما بعد النبوة، وأن أجل النبي قد دنا، وأدرك المنافقون أيضا ما أدركته البطون، وأيقن الجميع بأن محمدا يخطط ليكون الإمام بعده ابن عمه وزوج ابنته ووالد سبطيه علي بن أبي طالب إماما من بعده، وأيقنوا بأنه إذا نجح في مسعاه، فلن تخرج الإمامة من الهاشميين إلى يوم الدين، وبذلك سيجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا، فإذا فعلوا ذلك سيححفون على قومهم بجحا بجحا على حد تعبير عمر بن الخطاب (٢).

لذلك لملمت البطون نفسها لمواجهة نوايا النبي صلى الله عليه وآله، وحدث تقارب جدي بين الذين أسلموا من البطون قبل فتح مكة وبين الطلقاء الذين أظهروا الإسلام رهبة بعد الفتح، فصار عثمان بن عفان وهو من المهاجرين حليفا حقيقيا لأبي سفيان ومعاوية ويزيد والحكم بن العاص وهم من الطلقاء، أي أن الذين أسلموا من بطون قريش قبل الفتح شكلوا جبهة واحدة مع الذين أسلموا بعد الفتح، وصار للجميع موقف موحد من كل الأحداث.

كانت البطون تحكم بلدة مكة وفقا للصيغة السياسية الجاهلية، فجاء محمد صلى الله عليه وآله لينشئ دولة عظيمة تحكم العرب، ولم تكن هناك مصلحة لبطون قريش في أن تعترض على نبوة محمد، مضافا إلى عدم جدوى هذا الاعتراض، ولأجل ذلك وجدت أن من الأفضل لها أن تعترف بحق الهاشميين الشرعي بالنبوة، وفي مقابل هذا الاعتراف يجب أن يعترف الهاشميون بحق البطون بالملك تتداوله في ما بينها خالصا دون الهاشميين، وهذا هو وجه الصواب على حد تعبير منظر البطون عمر بن الخطاب (٣).

ولكن النبي محمدا لم يكن راضيا بهذه القسمة، وكان يخطط - بأمر الله ووحيه -

لإقامة إمامة يديرها اثنا عشر إماما من أهل بيته، يحكمون بالتتابع، فالأفضل للبطون أن تترك محمدا وشأنه، وأن تقيم تحالفا حقيقيا بينها وبين الجميع بمن فيهم المنافقون، حتى إذا انتقل النبي إلى جوار ربه حاصروا عليا والهاشميين، وهكذا اتحدت البطون بعد الفتح ضد علي وبني هاشم لإجهاض الإمامة، كما اتحدت ضد محمد وبني هاشم لإجهاض النبوة.

وكما مدت قيادات البطون أيدها إلى المنافقين تحقيقا لأهدافها، فقد تحالفت أيضا مع طلاب المصالح من الأنصار، ومما يلقي ضوءا على ذلك قول عمر بن الخطاب يوم السقيفة: " فما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر " (٤). فمن الذي أخبر عمر بأن أسلم ستحضر؟ وكيف عرف أن هذه القبيلة ستقف معه وتؤيد نظامه الجديد؟ الجواب المنطقي الوحيد هو أن قبيلة أسلم كانت طرفا في ذلك التحالف المشؤوم لاغتصاب الخلافة، وجاءت على موعد لتأييد النظام الجديد، فقد ضاقت بهم السكك على حد تعبير عمر بن الخطاب (٥).

٣ - من المؤكد أن القائد العام لهذا التحالف هو عمر بن الخطاب، فلو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول (٦)، وكان أبو بكر هو النائب للقائد العام، فهما معا لا يفترقان في عمل ولا مسير ولا منزل (٧)، وقد آخى الرسول بينهما قبل الهجرة وبعدها (٨)، ونال كلاهما شرف مصاهرة الرسول، فقد زوج عمر ابنته حفصة لرسول الله، وزوج أبو بكر ابنته عائشة له أيضا، ومن الملاحظ أن عائشة وحفصة كانتا يدا واحدة (٨)، وكانتا معا حتى على الرسول نفسه، كما يدل عليه قوله تعالى: " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين... " (٩)، فالمقصود بألف الاثنين في كلمتي (تتوبا، تظاهرا) هما عائشة وحفصة (١٠).

ويُلي أبا بكر وعمر بالأهمية: أبو عبيدة، وعثمان بن عفان، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، و عبد الرحمن بن عوف، وكان الزبير خارج هذه الدائرة، لأن هواه مع بني هاشم، ثم غيره ابنه عبد الله، وقد عرفوا بالنفر الذين مات رسول الله وهو راض عنهم، على حد تعبير عمر (١٢)، ثم عرفوا بعد ذلك بال عشرة المبشرين بالجنة (١٣).

وقد ساعد هؤلاء القادة من بطون قريش، أبو سفيان، ومعاوية، ويزيد، و عبد الله بن أبي سرح، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، والحكم بن العاص، وكلهم موتور وحاقد على علي وأهل بيت النبوة، فما من أحد منهم إلا وقتل علي أباه أو أخاه أو ابن عمه (١٤). وساعدهم من الأنصار: أسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وغيرهما. ويمكن القول: إن الهدف الأساسي من هذا التحالف هو تثبيت مبدأ (النبوة لبني هاشم، والخلافة لبطون قريش) والحيلولة بين الإمام علي بالذات وبين حقه بالإمامة، لأن عليا قتل سادات قريش، ولا تقبل به البطون إماما حتى إذا اختاره الله نفسه (١٥)، والحيلولة بين أي هاشمي وبين الإمارة، لأن أي هاشمي إذا تسلّم الإمارة سيدعو لخلافة وإمامة أهل بيت النبوة (١٦)، على هذا أجمعت قيادة بطون قريش ومن تحالف معها.

وقد ساد هذا التحالف روح الفريق والالتزام بالهدف، ففي سقيفة بني ساعدة عندما قال الأنصار: لا نبايع إلا عليا، وعلي غائب (١٧)، وقال أبو بكر: إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبا عبيدة، فبايعوا أيهما شئتم، عندئذ قال الاثنان: معاذ الله أن نتقدم عليك، ثم قفز بشير بن سعد فبايع أبا بكر وبايعه عمر وأبو عبيدة (١٨).

وعندما مرض أبو بكر مرضه الذي مات منه، دعا عثمان ليكتب له عهدا، فقال أبو بكر: إني قد وليت عليكم... ثم أغمي عليه من شدة الوجع، فأتمها عثمان من تلقاء نفسه: إني قد وليت عليكم عمر بن الخطاب (١٩): فلما أفاق أبو بكر من غيبوبته وعلم بما فعل عثمان ارتاحت نفسه وقال له: والله لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها (٢٠).

فأنت تلاحظ أن عثمان كتب اسم عمر من تلقاء نفسه، لأنه يعلم أن الخليفة حسب الاتفاق عمر، وقول أبي بكر: لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها، يعني أن الجميع يتصرفون بروح الفريق وضمن مخطط معلوم. وعندما مرض عمر مرضه الذي مات منه: كان واضحا أن الخليفة من بعده عثمان، فقد كان عثمان يعرف بالرديف، أي الرجل الذي يلي الرجل، ولكن عمر أراد أن يتولى عثمان الخلافة ضمن ديكور خاص، ويتولى الطاقم الذي اختاره عمر فيما بعد صد الإمام علي عن حقه في الخلافة، إذ فتح شهية أكبر عدد من الطامعين بالخلافة، ليكونوا مجتمعين فيما بعد ندا للإمام علي. ولم ينس عمر أولئك الذين ساعدوه على إنشاء التحالف، فقال متحسرا: لو كان أبو عبيدة حيا لوليته واستخلفته (٢١)، وأبو عبيدة ثالث الثلاثة من المهاجرين الذين دخلوا سقيفة بني ساعدة.

وقال عمر أيضا: لو كان خالد بن الوليد حيا لوليته واستخلفته (٢٢)، وكان لخالد جهد عظيم في تثبيت أركان حكومة التحالف، فقد كان مع السرية التي كلفت بإحراق بيت فاطمة بنت محمد علي من فيه (٢٣)، وهو الذي قتل مالك بن نويرة

الصحابي الذي ولاه رسول الله، وتزوج امرأته في نفس ليلة مقتله بدون عدة (٢٤). ولا فرق عند التحالف بين عربي وأعجمي، بدليل أن عمر بن الخطاب قال

في مرضه: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته واستخلفته (٢٥)، وسالم هذا من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب، وقد كانت حجة المهاجرين في السقيفة " أن عشيرة محمد أولى بميراثه، وأن العرب لا تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم " (٢٦).

وقال عمر أيضا: لو كان معاذ بن جبل حيا لوليته واستخلفته (٢٧)، ومعاذ من الأنصار، وحسب أقوال الثلاثة في السقيفة لم تكن الخلافة جائزة للأنصار! من هذا يتبين بوضوح أن التحالف كان يتصرف بروح الفريق الواحد، والمهم عنده تحقيق الهدف بالحيلولة دون أن يجمع الهاشميون الملك والنبوة معا (٢٨).

٤ - لم يكن بوسع التحالف مواجهة الرسول عن طريق الحرب، ولم يكن بإمكانه مواجهته عن طريق عن الحجة والمنطق، لأن قيام هذا التحالف عمل مناف للمنطق، ولم يكن بوسعه مواجهته عن طريق الشرع، لأن التحالف ما قام إلا لهدم الجانب السياسي من الشرع. إنه تحالف نشأ في الظلام، ولكن ليس بإمكان قاداته أن يقفوا مكتوفي الأيدي، وهم يرون محمدا يوطد الأمر من بعده لعلي، ويبرز الموقع المتميز لأهل بيته من بعده، لقد أدرك قادة التحالف خطورة البيان النبوي، وتأكيد رسول الله الدائم على أنه لا ينطق عن الهوى، وأنه يتبع ما يوحى إليه، فرأى قادة التحالف أنهم إذا استطاعوا التشكيك بقول الرسول وبشخصيته، فإنهم سيمكنون بذلك من إبطال مفعول البيان النبوي المنحصر في حديث النبي صلى الله عليه وآله، ومن هنا خططوا لبث

سلسلة من الشائعات تتظافر على التشكيك في قول الرسول وشخصه، وتؤكد أن من المستحيل أن يكون جميع كلام محمد من عند الله، بقصد زعزعة ثقة الناس

بيان الرسول المتعلق بالقضايا السياسية، ومنها قضية ولاية أمور المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله،

لتتوفر بذلك مبررات الانقضاض على الحكم - أثناء انشغال العترة الطاهرة بتجهيز النبي وتنصيب خليفة من بطون قريش يجمع بيده السلطة والمال وتأييد التحالف، ويواجهون عليها وأهل بيت النبوة بأمر واقع، ثم تقوم السلطة الجديدة بتحويل تلك الشائعات إلى قناعات يتناولها العامة بالوراثة، لتصبح جزءاً من الدين. وفي ما يلي عرض لأهم تلك الشائعات:

الشائعة الأولى - أن رسول الله بشر، يتكلم في الرضى والغضب، فلا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد، ومن ثم لا يجب تنفيذ كل أقواله فضلاً عن كتابتها.

والنص الحرفي لهذه الشائعة التي تستهدف التشكيك بقول رسول الله وعقله ما رواه عبد الله بن عمر بن العاص بقوله: " كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضى؟! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فمه وقال: اكتب: فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً " (٢٩).

من الذي يجرؤ على هذا النهي، وما هي مصلحته بعدم كتابة أحاديث رسول الله، وكيف يقوم بهذا العمل الخطير في حياة رسول الله دون علمه؟ في مقدمة الأشخاص القادرين على هذا العمل الخطير عمر بن الخطاب: فهو قائد التحالف، والمعني الأول لتحقيق الهدف الذي قام التحالف لتحقيقه، وهو مبتدع نظرية (النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون)، والشخص الثاني هو أبو بكر، فهو نائب قائد التحالف ومن المؤيدين لنظرية عمر والمقتنعين بصوابها، ومن

المؤكد أن عثمان كان شريكهما بهذا النهي، فهو من رجال عمر المقتنعين بنظرياته، وهو أموي وتره الهاشميون بأقاربه، وهؤلاء الثلاثة لم يكونوا موضع شك واتهام، فكلهم مهاجر، وكلهم صهر لرسول الله صلى الله عليه وآله. والدليل على صدور النهي عن هؤلاء الثلاثة، وإن الإشاعة قد انطلقت منهم: أولا - لما آلت الخلافة لأبي بكر كان أول ما فعله أن جمع الأحاديث التي كتبها هو شخصيا وأحرقها، وقد روت ذلك ابنته عائشة (٣٠)، ثم عمد ثانيا إلى أن جمع الناس وقال لهم: " إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله " (٣١)، فهذا الموقف المعلن من أبي بكر يكشف عن حساسيته

المفردة من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأنه أحد الذين نهوا ابن عمرو عن كتابتها

ثانيا - لما آلت الخلافة لعمر، كان أول مشاريعه أن طلب من الناس أن يأتوه بما كتبه من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، فظن الناس أنه يريد جمع أحاديث

الرسول، فأتوه بها، فأمر بإحراقها كلها (٣٢)، وأما مشروعه الثاني فهو فرضه الإقامة الجبرية على رواة الأحاديث وحبسهم في المدينة، لكي لا يقوموا ببث الحديث في الآفاق،

فقد روي " أنه ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة، وأبا الدرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر، وقال لهم: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا: أتئاننا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت " (٣٣).

ولقد قام عمر بحبس ثلاثة أشخاص بتهمة أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله (٣٤)، ونهي جيوشه عن التحديث عن رسول الله (٣٥).

فهذه السياسة الصارمة تجاه رواية الحديث وحرق المکتوب منه، تدل على ما

ذهبنا إليه، مضافا إلى موقف عمر من رسول الله في الحجرة المباركة، ومواجهة
لرسول مباشرة
بقوله: حسبنا كتاب الله.

ثالثا - ولما آلت الخلافة إلى عثمان، بادر لإصدار مرسوم بعدم جواز
رواية أي حديث لم يسمع به في عهدي عمر وأبي بكر (٣٦).
تلك هي قریش التي نهت عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة أحاديث رسول
الله بحجة أن الرسول بشر يتكلم في الغضب وفي الرضا، والغاية الحقيقية من النهي
كانت إبطال فاعلية الأحاديث المتعلقة بالإمامة بعد النبي، وبالموقع المميز لأهل
بيت النبوة بعد وفاته (ص).

وقد صرح معاوية بن أبي سفيان - وهو من قادة التحالف - بهذه الغاية
الحقيقية من الإشاعة حينما آلت إليه أمور المسلمين، فأصدر مرسوما بعد عام
الجماعة أعلن فيه بالحرف: " أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب
وأهل بيته " (٣٧)، فالغاية من منع رواية الحديث إذن، أن لا ينتشر فضل الإمام علي
وأهل البيت في الأمة، وأن لا يعرف المسلمون حقهم الثابت شرعا بقيادة هذه الأمة.
الشائعة الثانية - أن رسول الله كان يفقد السيطرة على نفسه فيشتم
ويلعن ويسب من لا يستحق ذلك.

والنص الحرفي لهذه الشائعة ما رواه البخاري ومسلم من " أن رسول الله
كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن تكون لمن
بدرت منه زكاة وطهورا " (٣٨).

وبهذا صوروا رسول الله الذي وصفه الله تعالى بآية محكمة بقوله:
وإنك لعلی خلق عظیم " (٣٩)، بصورة الرجل الذي يفقد السيطرة على أعصابه،
فيتصرف

تلك التصرفات التي ألصقوها به ظلما وعدوانا، والتي يترفع عنها الشخص العادي الذي

لا تتوفر فيه مؤهلات النبوة، فإنه لا يقدم على سب الناس وإيذائهم بدون سبب، فكيف بسيد الخلق وأعظمهم؟!
والقصد من هذه الشائعة دعم الشائعة الأولى، وإبراز مظلومية الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وآله من أعداء الله، وكثير منهم من البطون، كأبي سفيان، ومعاوية، ويزيد، والحكم بن العاص، وغيرهم، فإنه بمقتضى هذه الشائعة يكون هؤلاء زاكين ومطهرين، فإذا أراد شخص أن يعترض على مروان بن الحكم أو على معاوية إذا آلت إليهم الخلافة يوماً، وقال له، لقد لعنك رسول الله، فكيف تتأمر على أمته؟ كان الجواب: (لقد دعا رسول الله أن تكون لعنته لي زكاة وطهوراً، ودعوات الأنبياء مستجابة، لذلك فإني زاك ومطهر بالنص، وأصحابك أهل بيت النبوة مطهرون فقط، فأنا أولى بالقيادة منهم)، وشر البلية ما يضحك!
الشائعة الثالثة - أن النبي يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله.
والنص الحرفي لهذه الشائعة ما رواه البخاري ومسلم من " أن بعض اليهود سحروا رسول الله حتى ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله " (٤٠).
وهذه قمة التشكيك بكل ما يصدر عن رسول الله، من أجل تحقيق ما يريده التحالف بالدرجة الأولى من إلغاء قيمة الأحاديث المتعلقة برئاسة الدولة، وبالمكانة الخاصة التي بينها رسول الله لأهل بيته الكرام.
الشائعة الرابعة - أن الرسول يسقط بعض آيات القرآن.
والنص الحرفي لهذه الشائعة ما رواه البخاري ومسلم من " أن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال الرسول: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا " (٤١).
والقصد من هذه الإشاعة التشكيك بذاكرة الرسول (ص) حتى في الأمور

المتعلقة بالقرآن الكريم، إذ لولا هذا القارئ لما تذكر النبي - بزعمهم - الآيات التي أسقطها من سورة كذا! وإذا كان ضبط النبي وذاكرته ضعيفة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فكيف بالأمور السياسية؟
الشائعة الخامسة - أن الرسول يهجر (يهذي).

في هذه الشائعة بلغت حملة قادة التحالف على رسول الله المدى، فقد قال عمر بن الخطاب وجهها لوجه: أن رسول الله قد هجر (٤٢)، وبعد ذلك تجرأ حزب

عمر وقالوا: القول ما قاله عمر، إن رسول الله يهجر، وإن رسول الله قد هجر، وما شأنه (أي النبي) أهجر؟ (٤٣).

فأول من اتهم رسول الله بالهجر، ورفع بوجهه شعار (حسبنا كتاب الله) هو عمر، فما أن قال الرسول: "قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا" حتى تصدى

له عمر فقال فوراً: "حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد هجر"، وبدون ترو
صاح الحاضرون من حزب عمر: القول ما قاله عمر.

ومن المؤكد أن شخصا ما كان قد أخبر عمر بأن النبي سوف يكتب وصيته تلك الليلة، فجاء عمر بعدد كبير من حزبه ليحول بين الرسول وبين كتابة وصيته، كما اعترف عمر بذلك فيما بعد (٤٤).

وقد فوجئ الحاضرون من غير حزب عمر واستغربوا وصعقوا من هول ما سمعوا، فقالوا، قربوا يكتب لكم رسول الله، وكان حزب عمر يشكلون الأكثرية، لأنهم أعدوا للأمر عدته، فاختلف الفريقان وتنازعا، وصدّم عمر وحزبه مشاعر النبي (ص) فقال للجميع، قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، وما أنا فيه خير مما تدعونني إليه."

ولقد أصاب ابن عباس عندما سمى ذلك اليوم بيوم الرزية.

الشائعة السادسة - القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لحديث الرسول.
أطلق التحالف هذه الإشاعة مع الإشاعة الخامسة (إن رسول الله يهجر)، وقد تجاوزوا بها حدود العقل والمنطق، وقد واجه عمر وأبو بكر الرسول بها شخصياً حينما أراد كتابة الوصية، وأيدهما من حضر معهما في حجرة رسول الله من أتباعهما. إن جميع الإشاعات السابقة غير منطقية، ولكن هذه الأخيرة أكثرها بعدا عن المنطق، ذلك أن القرآن بحاجة إلى بيان، وأن مهمة الرسول صلى الله عليه وآله أن يوضح المقاصد

الإلهية من كل نص توضيحا قائما على الجزم واليقين، قال تعالى: " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " (٤٥)، ولأجل ذلك كان بيان النبي جزءا لا يتجزأ من الشريعة الإلهية، وطاعة الرسول هي طاعة الله، لأن الكتاب وحده لا يغني عن السنة، فكلاهما مكمل للآخر. قال تعالى: " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٤٦)، وإن التفريق بين الكتاب والحديث، هو تفريق بين الله ورسوله، وبين الرسول ومعجزته، وإذا كان من المعقول أن يرد شخص حديث النبي الذي ينقل إليه بالرواية، فكيف نتعقل أن يقول شخص للرسول مواجهة: أنت تهجر، ولا حاجة لنا بقولك أو وصيتك، لأن القرآن عندنا وهو يكفيننا؟ تلك حادثة غريبة، لا مثل لها في تاريخ البشرية، ومع هذا بقي أصحاب هذه الحادثة أبطالا، ولم يتعرضوا للوم لائم!
الشائعة السابعة - النبي مجتهد.

والقصد من هذه الشائعة أن يلقوا في روع المسلمين أن الرسول ليس أكثر من مجتهد يقول برأيه في الأمور العامة، وأن رأيه ليس ملزما، ومن حق أي مجتهد آخر أن يتبنى اجتهادا يخالف اجتهاد الرسول، ولا حرج على هذه المجتهد الآخر، بل هو مأجور بمخالفته لرسول الله سواء أخطأ أم أصاب.

وقد وجدت هذه الشائعة تطبيقتها العملي في مجال العطاء، فقد كان رسول الله يقسم المال بين الناس بالسوية، لا فضل في ذلك لعربي على أعجمي، ولا لمهاجري

على أنصاري، ولا لصريح على مولى، لأن حاجات أبناء البشر الأساسية متشابهة، وقد أصبح عمل الرسول هذا سنة فعلية، وبقي معمولاً به حتى مع سيطرة التحالف على مقاليد الأمور طيلة عهد أبي بكر، ولكن حينما تسلم عمر مقاليد الأمور رأى أن سنة الرسول هذه ليست مناسبة، فلا يعقل أن تكون قریش كالأنصار، والعرب كالعجم، والصرحاء كالموالي، ومن هنا ألغى التسوية في التوزيع، وفضل العرب على العجم، والمهاجرين على الأنصار، والصرحاء على الموالى، مخالفاً بذلك سنة رسول الله عن علم وعمد.

وكانت نتيجة عمله هذا أنه غرس بذور الطبقية في المجتمع المسلم، وأشعل نار الصراع القبلي بين ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، والعرب والعجم، والصرحاء والموالى (٤٧).

نجح عمر بإلغاء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وإحلال سنته الشخصية محلها، لكنه اكتشف بعد تسع سنين أن رسول الله أهدى من عمر، بعد أن شاهد بعض الآثار المدمرة لسنته التي فرضها بالقوة، وأعلن عزمه على الرجوع إلى سنة رسول الله، فقال: " إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربياً على أعجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر " (٤٨). وعلى الرغم من ندم عمر واعترافه بخطئه، فإنهم أخذوا بعد مماته يلتمسون له أعذاراً عجيبة لا يقرها أي عقل، كقول القوشجي: " إن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه، فإنه من مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية " (٤٩)، أي أنه لا حرج على عمر في مخالفة رسول، لأن كليهما مجتهد. واعتذر ابن أبي الحديد عن تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة بأن

" الرسول كان يبعث سرايا عن اجتهاد لا عن وحي يحرم مخالفته " (٥٠).
وباختصار لقد تحولت تلك الإشاعة إلى قناعة عامة، وصار الرسول مجرد
مجتهد، من حق الخليفة المقلب في أي زمان أن يأتي باجتهاد يغير اجتهاد
الرسول، والأهم من ذلك أن الاجتهاد وارد حتى في العبادات، فزيادة الأذان
الثالث يوم الجمعة من قبيل الاجتهاد، وكذلك يقع الاجتهاد في حدود الله، فقد
أسقط عثمان القود عن عبید الله بن عمر ولم يقتله، واعتذر عنه " بأنه اجتهد،
ورأى أنه لا يلزمه حكم هذا القتل، لأنه وقع قبل عقد الإمامة له " (٥١).
والاجتهاد قد يستفيد منه أعداء الله، فالحكم بن العاص كان عدوا لله،
وكان يؤذي رسول الله في الجاهلية والإسلام، لعنه الرسول وأبعده، ولعن
أولاده (٥٢)، لكن عثمان أعاده إلى المدينة معززا مكرما وأعطاه صدقات المسلمين
(٥٣)،

ولما سئل شيعة عثمان: لم فعل ذلك؟ قالوا: " أداه اجتهاده إلى ذلك، لأن
الأحوال تتغير " (٥٤).

وروى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف " كان لا يولد لأحد مولود إلا
أتي به النبي فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال الرسول: هذا الوزغ
بن الوزغ، الملعون بن الملعون " (٥٥)، ومع هذا أصبح هذا الولد بالاجتهاد رئيسا
لوزراء المسلمين! وأعطى هذا الولد فدكا بعد أن أخذت من فاطمة بضعة رسول
الله (٥٦)!

كل هذه المتناقضات قد جرت بدعوى الاجتهاد، وكانت من الثمار
المرّة للشائعات التي أطلقها قادة التحالف، والتي تضافرت لتخلق وضعاً
حقوقيا لا مثيل له.

الشائعتان الثامنة والتاسعة: أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يستخلف أحدا، وإنما خلى

على الناس أمرهم، وأن الرسول لم يجمع القرآن، وإنما جمعه الخلفاء الثلاثة. ومفاد الشائعة الأولى أن رسول الله لم يستخلف من بعده أحدا، لا عليا ولا غيره، بل ترك أمته بلا قائد ولا راع، ولم يبين لها كيف تختار ولا من تختار، فجاء الخلفاء الثلاثة ورتبوا أمر القيادة، وتلافوا بعقريتهم الفذة ما أغفله النبي على الصعيد القيادي.

وأما على الصعيد القانوني، فمفاد الإشاعة الثانية أن الرسول انتقل إلى جوار ربه وترك القرآن في صدور الرجال ولم يجمعه، فخشي الخلفاء الثلاثة أن يضيع القرآن بعد أن يقتل حفظته أو يموتوا، فشمروا عن سواعد الجد، وجمعوا القرآن، ولولا بعد نظر أولئك الخلفاء لضاع القرآن واندثر، وبهذا يكون الخلفاء الثلاثة قد تلافوا ما أغفله النبي، وحفظوا للأمة قرآنها. أما الإشاعة الأولى فأول من أطلقها أبو بكر، قال: "إن الله بعث

محمدا نبيا... حتى اختار الله له ما عنده، فخلي على الناس أمرهن ليختاروا لأنفسهم ما فيه مصلحتهم... فاختروني عليهم وليا ولأموارهم راعيا" (٥٧) وقال أبو بكر في مرضه الذي توفي منه: "وودت أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينازعه فيه أحد" (٥٨)، فأبو بكر يؤكد هنا صحة هذه الشائعة. وأما ثاني من أطلق شائعة ترك الأمة بلا راع فهو عمر بن الخطاب، فقد قال لابنه في مرض الوفاة: "إن لم استخلف، فإن رسول الله لم يستخلف، وإن أستخلف فقد استخلف أبو بكر" (٥٩).

فعمر يؤكد بكلامه هذا أن الرسول لم يستخلف، وفي الوقت نفسه يجعل فعل أبي بكر سنة كسنة النبي صلى الله عليه وآله، ويعطي نفسه صلاحية اتباع أي من السنتين، ولم يفرق بينهما!

والملاحظ أن عبد الله بن عمر حينما نصح أباه بأن يستخلف، وصف حالة ترك الأمة بدون راع بأنها تضييع للأمانة، وتفريط ومحل لوم ينبغي أن يترفع عنه حتى راعي الإبل أو الغنم (٦٠)، وأن عائشة أبلغت عمر بضرورة الاستخلاف، قالت، إن ترك الأمة هملا يؤدي إلى وقوع الفتنة (٦١)، فهل يعقل أن يكون راعي الغنم أو الإبل أو عبد الله بن عمر أو عائشة، أبعد نظرا، وأدرك لعواقب الأمور من رسول الله وهو صفوة الجنس البشري؟!!

والمثير للتساؤل أنه إذا كان رسول الله قد ترك الأمة بلا راع حقا، فلماذا لم يقتد الخليفتان بمحمد، ولماذا لم يخليا على الناس أمرهم؟ ومن العجيب أن استخلاف أبي بكر لعمر، واستخلاف عمر لعثمان، تمت بأمر الرجلين وهما على فراش الموت دون أن يعارضهما أحد، ولسنا ندري لماذا لم يعامل الرسول بمثل هذه المعاملة، حينما أراد أن يكتب قبل وفاته كتابا لن تضل الأمة بعده أبدا، فتصدى له عمر وأبو بكر وأعوانهما وحالوا بينه وبين الكتابة! إنه لمن العجيب أن تعلق مكانة الخليفة على مكانة النبي، وأن يكرم الصحابي أكثر مما يكرم النبي، ومع هذا لا أحد يقف عند هذه القاصمة، ولا أحد يوجه اللوم لفاعليها!

وأما الشائعة الثانية، وهي أن النبي ترك معجزته العظمى وهي القرآن دون جمع ولا كتابة، وإنما قام بذلك الخلفاء الثلاثة، فقد أثبتنا عدم صحة هذه الإشاعة في كتابنا (الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية) ص ٤٥ وما بعدها، فراجع.

* الفصل الثاني: التحالف أشخاصه وأهدافه.

١ - إن الشائعات التسع التي أطلقها قادة التحالف تشكل في حقيقتها تقاطيع نظرية جديدة، تكشف طبيعة أفكار المتحالفين وأسلوب عملهم. فقادة التحالف يعترفون بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، فإن هذه النبوة فرضت نفسها على الواقع رغم محاربة البطون لها طيلة ٢٣ عاما، ولا مصلحة لقادة التحالف الآن إلا بنبوة محمد القرشي الذي نجح بتأسيس ملك، وما عليهم إلا أن يحسنوا اقتناص الفرص ليرثوا هذا الملك من ابن البطون.

وهم يعترفون أيضا بأن القرآن من عند الله، إذ لا جدوى من إنكار هذه الحقيقة، ولا مصلحة لهم بإنكارها، بذلك أنهم إذا أنكروا نبوة محمد، وأنكروا القرآن، انفض العرب من حولهم بعد موت النبي، وعاد النظام القبلي، وتبخرت بذلك أحلامهم بوراثة ملك العرب عن محمد. فهذه هي طبيعة دين تحالف البطون، إنه دين قائم على المصلحة، ومختلط بأحلام ملك قريش.

وقد اتفقت كلمة البطون على أن توجهات محمد بشأن الولاية من بعده، وحصره الإمامة في بني هاشم، ليست معقولة ولا ودية، وفيها شيء من الاجحاف بحق البطون، والإنصاف يقتضي ترك النبوة لبني هاشم، على أن يكون الملك والخلافة للبطون، تتداولها بينها.

وأما منافقو المدينة وما حولها من الأعراب ومنافقو مكة، فقد وجدوا في موقف البطون ورفضها لترتيبات النبي لعصر ما بعد النبوة فرصة ذهبية للانتقام من آل محمد ودفعهم عن مركز القيادة، وللقضاء على دين محمد، بتخريب الجانب السياسي منه، وهذا هو السبب والدفع لالتفاف كل المنافقين

حول قيادة التحالف، وإخلاصهم لها، مما أدى لذوبان النفاق بالتحالف، واختفاء كلمة النفاق من المسرح السياسي بعد موت النبي صلى الله عليه وآله. واستقطبت شائعات التحالف جمهورا كبيرا يتعاطف معها ويؤمن بها، ويستقى لتطبيقها، مقتنعا بأن القرآن وحده يكفي، وأنه لا حاجة لغيره، وبهذا أخرج النبي وفعله وتقريره عن التأثير في مسرح الأحداث.

صار التحالف دولة داخل دولة، له عيونه والمتعاونون معه حتى داخل دار النبي نفسه، ووجدت قيادة ظل مع وجود القيادة الشرعية، فإذا انتقل الرسول إلى جوار ربه تمكنت من الاستيلاء على السلطة بيسر وسهولة. وقد أدرك المؤمنون الصادقون أن بطون قريش ومن خلفها أكثرية العرب قد اتحدت ضد علي وأهل بيت النبوة لتصرف عنهم القيادة، كما اتحدت ضد النبي وبنو هاشم لتصرف عنهم النبوة، فسألت نفوس المؤمنين المخلصين حسرات، وأدركوا أن جرح الإسلام خطير، وأن العلاج أشد خطورة.

٢ - إن البطون التي وقفت بوجه النبي وحاربتة، هي نفسها التي تحالفت ضد علي وضد توجيهات النبي بشأن القيادة من بعده، ولكن هذه المرة تحت مظلة الإسلام، ومن هنا وقف الذين أسلموا وهاجروا من البطون إلى جانب الذين أسلموا من البطون يوم الفتح (الطلقاء)، وتألقت قيادة جديدة تضم مهاجري البطون وطلقائها، وتم الاتفاق على تسليم قيادة التحالف إلى مهاجري البطون وتقديمهم إلى الصف الأول، وأن يبقى الطلقاء في الصف الثاني، لكي لا يثيروا انتباه الأمة، وهكذا تألفت قيادة البطون من خليتين:

الخلية الأولى تتكون من: عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد، وكلاهما من بني عدي، وأبي بكر وطلحة بن عبيد الله، وكلاهما من بني تيم، وأبي عبيدة عامر

بن الجراح وهو من بني الحارث بن فهر، والزبير بن العوام وهو من بني أسد بن عبد العزى، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وكلاهما من بني زهرة بن كلاب، وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص وكلاهما من بني أمية، وخالد بن الوليد وهو من بني مخزوم.

وقد قال عمر بن الخطاب فيما بعد: إن رسول الله انتقل إلى جوار ربه وهو راض عن هؤلاء جميعا، وقد اشتهرت هذه الخلية بعدئذ بأن رجالاتها جميعا باستثناء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من المبشرين بالجنة (٦٢)، وقد تم التأكيد على أن هؤلاء هم المبشرون بالجنة، وأهملت مئات النصوص التي بشرت غيرهم بالجنة، وأهملت وسائل الأعلام أن سادات أهل الجنة هم: النبي وعلي وجعفر وحمة والحسن والحسين (٦٣).

وقد نشطت هذه الخلية، وفرضت رأيها فرضا، وواجهت الرسول نفسه، وحالت بينه وبين كتابة ما يريد، وقالت له وجها لوجه: أنت تهجر: ولا حاجة لنا بكتابك، وكتاب الله يكفيننا، وبعد ذلك عينت حاكمها الجديد وسمته خليفة النبي.

ولا بد من الإشارة إلى أن الخلية لم تضم الزبير أولا، لأنه كان يتعاطف مع أخواله بني هاشم، وكان في صفهم، ولما برز ابنه عبد الله وناصر أهل بيت النبوة العداة تمكن من جر أبيه إلى الصف المعادي لأهل بيت النبوة. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كانا همزة الوصل بين المهاجرين من بطون قريش وبين الطلقاء، وقد هندسا بالتعاون مع يزيد ومعاوية أسس التحالف والوفاق بين هذين الفريقين. الخلية الثانية من قيادة البطون تضم: يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم بن العاص، والوليد بن عقبة بن معيط،

وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، و عبد الله بن عامر بن كريز الأموي،
وعكرمة

بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وغيرهم.
لقد تالف من هاتين الخليتين فريق واحد، تولى التخطيط للتحالف الذي
قام بين بطون قريش وبين المنافقين والمرزقة من الأعراب وطلاب الجاه والدنيا
من الأنصار.

وقد أشار الإمام علي إلى هذا التحالف بقوله: " اللهم إني أستعينك
على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا
على منازعتي أمرا هو لي " (٦٤).

٣ - لم يكتف قادة التحالف بالشائعات التي أشرنا إليها، بل أخذوا
يزيدون على الرسول صلى الله عليه وآله لكي يشتهروا ويلقوا في روع الغافلين أنهم
أكثر

حرصا على الدين من رسول الله، وكان أكثر الناس مزايده على النبي هو عمر،
لذلك نكتفي بذكر بعض مزايده التي جاوزت المدى بالمزايده الكبرى والنبي صلى
الله عليه وآله
على فراش الموت.

كان عمر رجلا مغمورا قبل الإسلام يمتهن (البرطشة)، أي أنه كان
مبرطشا يكتري للناس الإبل والحمير، ويأخذ على ذلك جعلاً (٦٥)، وإلى هذا
أشار سعد بن عبادة عندما قال لعمر في السقيفة: " لأعيدنك إلى قوم كنت
فيهم ذليلاً غير عزيز، وتابعا غير متبوع " (٦٦)، وعمر نفسه لا ينكر ذلك،
لكنه أصبح عزيزا بالإسلام، وتألق نجمه عندما تشرف بمصاهرة رسول الله،
وصار يتردد على بيته بحكم المصاهرة.

ولم يكن عمر رجل فروسية أو قتال، فلم يثبت أنه قتل أو جرح أو أسر
أحدا من المشركين طوال تاريخ دولة النبي صلى الله عليه وآله، والروايات التي تصوره
رجل سيف،

إنما هي ضرب من الأساطير التي لا تتفق مع شخصيته، ولا مع طبيعة قومه بني عدي الذين وصفهم أبو سفيان بقوله الذي ذهب مثلاً: " لا في العير ولا في النفير " (٦٧)، وذلك حينما صادفهم راجعين من جيش المشركين الذي خاض معركة بدر فيما بعد، ولقد تبين لي بعد التحقيق أنه لم يقتل من بني عدي أحد لا مع المشركين ولا مع المؤمنين، وأما ما ذكره الواقدي من أن عمر قد قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة، فهو معارض بما ذكره الواقدي نفسه من أن قاتل العاص هو عمار بن ياسر أو علي بن أبي طالب (٦٨).

ولقد جد عمر واجتهد حتى تمكن خلال ١٢ عاماً أن يتعلم سورة البقرة ٦٩، ولكنه ظل بالرغم من ذلك يشكو من قلة الفقه، فطالما قال: " كل الناس أفقه من عمر " (٧٠)، وقال مرة: " امرأة أصابت وأخطأ رجل " (٧١)، ويعني بالرجل نفسه،

واعترف مرتين أو ثلاثة بأن " كل أحد أفقه من عمر " (٧٢).

ومع هذا كله كان عمر يزايد على رسول الله (ص)، ويتصور الغافلون أن عمر أحرص على الدين من الرسول نفسه، وأفهم بالدين منه! ومن نماذج هذه المزایدات:

أولاً - مزایدته في صلح الحديبية، إذ أخرج الله تعالى نبيه محمداً للعمرة، واختار الحديبية محطاً لرحاله ومركزاً لمفاوضاته، وأعلمه أن المفاوضات ستنتهي بصلح هو

الفتح المبين الذي يحقق الغاية التي سعى إليها محمد طوال مواجهته وحربه مع بطون قري، وأمر الله نبيه بتوقيع الصلح، وكفى بالله شهيداً.

وصف عمر هذا الصلح الذي رضيه الله ووقعه رسوله بأنه دنية، وقال للنبي " علام نعطي الدنية في ديننا؟ " (٧٣)، فأجابه رسول الله: أنا رسول الله ولن يضيعني. وجعل عمر يردد الكلام نفسه على رسول الله، وقاد حملة من التشكيك بصحة

عمل النبي صلى الله عليه وآله، فأخذ ينفرد بأصحاب الرسول ويقول لهم: (إن محمدا وعدنا أن ندخل

الكعبة)، محاولا استقطابهم ضد الرسول، لعله ينجح بإلغاء الصلح، وتركت حملته آثارا مدمرة، وهزت الثقة برسول الله إلى حين، إلا أنه أخفق بتكوين قوة من الصحابة قادرة على إجهاض الصلح، وقد اعترف هو عندما أصبح خليفة بكل ذلك فقال:

" ارتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ، ولو وجدت شيعة تخرج عنهم رغبه عن القضية لخرجت " (٧٤).

ولم يتوقف عمر عن حملته التشكيكية إلا بعد أن أقبل عليه الرسول قائلا: " أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم " (٧٥)، فكأن الرسول الأعظم يعيد بهذا التذكير الحجم الحقيقي لعمر، ويقول له: إنك تدعو للحرب مع أنك فررت من المعركة وتركتني.

ثانيا - مزايده بعد صلح الحديبية، حين جاء أبو جندل بن سهيل فارا من المشركين إلى المسلمين بعد توقيع معاهدة الصلح، وعملا بالاتفاق كان يجب على النبي إعادته إلى قريش، فاحتج عمر بأنه لا ينبغي إعادته، فقال الرسول لأبي جندل: اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدا، وإنا لا نغدر "، فاقتنع أبو جندل (٧٦)، وبعد أن أغلقت دائرة البحث في هذا الموضوع، اختص عمر بأبي جندل وقال له: " أبوك رجل وأنت رجل ومعك السيف، فاقتل أباك "، وكان غرض عمر أن ينقض أبو جندل على أبيه سهيل ويقتله وهو في حضرة الرسول وجواره، وهو سفير البطون، ولكي يضفي عمر على التحريض طابعا دينيا قال لأبي جندل: " إن الرجل يقتل أباه في الله "، ولكن أبا جندل فطن لأسلوب عمر في المزايده، فقال له: " ما لك لا تقتله أنت يا عمر؟ "،

فقال عمر: " نهاني رسول الله عن قتله وعن قتل غيره: (٧٧)، ولعل هذا هو السر الذي لأجله لم يقتل عمر أحدا من المشركين طيلة زمان دولة النبي صلى الله عليه وآله. والملاحظ أنه في مرحلة المفاوضات التي سبقت إبرام معاهدة الصلح، طلب النبي من عمر أن يذهب إلى قريش ويبلغها أن الرسول ليست له نوايا عدوانية ضدها، وإنما غايته أن يذبح المسلمون الهدى ثم ينصرفون، فرفض عمر أن يذهب مبعوثا للنبي، وقال: " إني أخاف قريش على نفسي، قد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعي "، ومع هذا نجد الرجل الذي لا يقوى على أن يكون سفيرا لإبلاغ جملة قصيرة، يدعو للحرب! ولو نجحت حملة عمر بالتشكيك في موقف النبي، وأفلح في إلغاء الاتفاقية، وجر من معه إلى حرب مع قريش لم يخطط لها، لدمر حالة التماسك بين الرسول وأصحابه، ولكن المؤكد أن عمر لم يكن يحسن الحرب ولا يحبها، وإنما كان يزايد فقط.

ولو أفلح عمر في إقناع أبي جندل بقتل أبيه في حضرة رسول الله أو في معسكره، لكان في ذلك إحراج هائل لرسول الله، ولتقوت قريش على الرسول صلى الله عليه وآله بأنه قد

قتل رئيس مفاوضيها وغدر به وهو في رحابه، ولادة هذه التقولات إلى نتائج خطيرة، ولكن عمر قد لا يقصد ذلك، وإنما يريد فقط أن يقتنع الصحابة بأنه أحرص على الإسلام من الرسول نفسه، وأن يشكك بمواقف النبي وتوجهاته. ثالثا - مزايده التي حدثت بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وآله تصفية أو كار الشرك، وأراد تشجيع الناس على الدخول في دائرة التوحيد والاطمئنان بها، فأمر أبا هريرة أن بشر من لقيه مستيقنا قلبه بشهادة لا إله إلا الله بالجنة، فكان أول من لقيه عمر، فلما بشره أبو هريرة، ضربه عمر بيده بين ثديه فأسقطه على الأرض، فلما سأله الرسول عما حمله على ما فعل، قال للنبي:

لا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها (٧٨).
ومثل عمر لا يثير رسول الله الذي وسع الجميع بحمله، فبلغ الرسول بنفسه
هذه البشرية للأمة (٧٩).

والكارثة أن البعض كالنووي والقاضي عياش يرون أن الصواب كان في
جانب عمر! قال النووي: " إن الإمام الكبير مطلقا إذا رأى شيئا، ورأى بعض
أتباعه خلافه، ينبغي للتابع أن يعرضه على المتبوع، فإذا ظهر له أن ما قاله التابع
هو الصواب رجع المتبوع إليه " (٨٠)، أي يرجع الرسول لعمر في هذه الحالة!
لقد فعلت إشاعات قادة التحالف فعلها، وأدت إلى الاعتقاد بأن الرسول
لا يتلقى بالوحي إلا القرآن وحده، وأما ما عدا القرآن، فهو يتصرف فيه من تلقاء
نفسه، وعلى الرغم من أن رسول الله قد أكد مرارا لعمر وحزبه، بأنه لا يخرج من
فمه إلا الحق، وأقسم على ذلك (٨١)، إلا أن عمر وشيعته لا يصدقون رسول الله في
هذه المسألة، لأنها تتعارض مع إشاعاتهم، ولأن الناس إذا صدقوها ستخرب
كل خطط التحالف المستقبلية، لإجهاض الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة.
رابعا - مزيادته الاستفادة مما روته عائشة من " أن أزواج النبي
صلى الله عليه وآله كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصح، وهو صعيد أفيح، فكان
عمر

يقول للنبي: " إحجب نساءك "، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة
بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فنادها عمر:
" ألا قد عرفناك يا سودة "، حرصا على أن ينزل الحجاب، عندئذ أنزل
الله آية الحجاب (٨٢).

والمشكلة أن الرواة يتصرفون بالوقائع والأحداث ليعطوا عمر دائما موقع
البطولة، ولا يجدون غضاضة ولا حرجا حتى لو أعطوه ذلك على حساب رسول الله،

ولست أدري ما هي علاقة عمر بزوجة رسول الله؟! وهل هو أكثر غيره من الرسول، أو أكثر معرفة للصواب منه؟ وهل يترقب الوحي إشارة من عمر، أو توجيهها منه لتشخيص مواقع المصلحة على صعيد السلوك الاجتماعي؟ شهد الله أن هذه التصورات لا تطاق.

خامسا - مزايده العظمى والرسول على فراش المرض، إذ منعه من كتابة وصيته، بحجة أن كتاب الله وحده يكفي المسلمين، واتهم الرسول بالهجر والهديان، وقد تعرضنا لذكر هذه الحادثة الفاجعة فيما تقدم، وهي حادثة لا مثيل لها في التاريخ البشري، ذلك أن النبي على اتصال دائم بالوحي، وكان لا يزال رسولا وقائدا، وكان في بيته، لا في بيت عمر، وكان مريضا ويريد أن يكتب وصيته قبل أن يتوفى، تماما كما فعل أبو بكر وعمر نفسه، وكما يفعل أي مسلم وأي إنسان، فمن الذي أقام عمر وصيا على الرسول، ونائبا عن المسلمين، حتى يكسر هيبة النبي ويجرح مشاعره وهو في آخر لحظاته، فيتهمه بالهديان، وبعدم معرفة حدود حاجات المسلمين، ويمنعه من كتابة وصيته؟! أهو مسلم حقا من يتلفظ بهذه الألفاظ النابية في حضرة الرسول؟ وكيف يعتذرون عن هذه الحادثة الرزية؟ وهل عمر أحب إليهم من رسول الله؟ بئس للظالمين بدلا!

٤ - إن إشاعات قادة التحالف التي استهدفت التشكيك بأحاديث الرسول وعقله واتزانه وخلقه، هي إشاعات لا نصيب لها من الصحة، وهي محض اختلاق،

ولا نريد أن نستدل على بطلان هذه الإشاعات الظالمة بحكم العقل، وإنما نريد أن نحاكمها في ضوء القرآن الكريم، ذلك أن قادة التحالف يرون أن كتاب الله وحده يكفي،

وأنه لا حاجة لأحاديث الرسول وتوجيهاته، ومعنى ذلك أنهم يعترفون بالقرآن الكريم، ويعتقدون أنه من عند الله، ومن ثم فهو يصلح أن يكون حجة عليهم لمواجهة الإشاعات

التي أطلقوها، فهل يقبل قادة التحالف بحكم القرآن على شخص الرسول وأقواله؟ قال تعالى " والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى " (٨٣)، ولا خلاف في المراد بكلمة (صاحبكم) هو النبي صلى الله عليه وآله، ولا خلاف أيضا في أن قوله تعالى: " وما ينطق

عن الهوى " مطلق شامل لكل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله من كلام، ولا يختص بحال

دون حال أو زمان دون آخر، فما ينطق به النبي لا يمكن أن يصدر عن الهوى، وإنما هو وحي يوحى من الله عز وجل، وهذا ما تضافرت آيات أخرى على تقويته وتأييده، نحو قوله تعالى: " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " (٨٤)، وقوله: " قل: إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي " (٨٥)، وقوله تعالى: " واتبع ما يوحى إليك " (٨٦)، وقوله: " واتبع ما يوحى إليك من ربك " (٨٧).

وقال تعالى: " وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب " (٨٨)، والأمر الإلهي في هذه الآية مطلق أيضا، وبمقتضاها يجب على المؤمن الصادق أن ينفذ كل أوامر الرسول، وأن ينجز عن كل نواهيه، ولا يختص ذلك ببعض الأوامر والنواهي دون بعض، فكيف يمكن التوفيق بين نص هذه الآية وبين إشاعة قادة التحالف التي زعموا فيها أن الرسول يتكلم في الرضى والغضب ولا ينبغي أن يكتب كل ما يقوله؟ ومما يؤيد هذه الآية قوله تعالى: " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٨٩)، وقوله في آيات متعددة: " أطيعوا الله ورسوله " (٩٠)، " أطيعوا الله والرسول " (٩١). فالذين زعموا أن القرآن وحده يكفيهم، وليسوا بحاجة لحديث رسول الله وتوجيهاته، خالفوا بذلك القرآن نفسه، لأن القرآن الكريم الذي زعموا تمسكهم به، يأمرهم بأن يطيعوا الرسول كما يطيعون الله، وأن يتجنبوا معصية الرسول كما

يتجنبون معصية الله، فشعارهم (حسبنا كتاب الله) ما هو إلا شعار حق يراد به باطل، تماما كخدعة معاوية وعمرو بن العاص في صفين حينما رفعوا شعار: (هذا كتاب الله بيننا وبينكم)، غايته أن الناس قد اكتشفوا فيما بعد خدعة شعار معاوية، ولكنهم لم يكتشفوا بعد خدعة شعار (حسبنا كتاب الله). إن السبب الواقعي الذي يكمن وراء رفض قادة التحالف لحديث النبي صلى الله عليه وآله

هو إبطال مفعول الأحاديث المتعلقة بالإمامة والقيادة بعد النبي، ولما كان من المتعذر الإفصاح عن هذا السبب، اضطروا إلى شن حملة التشكيك بكل الأحاديث الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله، وإلى اختراع فكرة صدورها في الغضب والرضى، ولما استولوا على السلطة عمدوا إلى إحراق الأحاديث المكتوبة، وحضروا تدوين الحديث وروايته.

ولكن لما آل الأمر إلى معاوية - وهو من قادة التحالف - واستطاع أن يقهر المؤمنين بسياسة القبضة الحديدية، لم يعد هناك داع للمواربة والتستر، فأعلنها صريحة بإصدار عدد من القرارات الرسمية المتوالية على النحو التالي (٩٢):
أولا - القرار الذي عممه على كل عماله بعد عام الجماعة من أنه " برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تراب وأهل بيته ".
ثانيا - القرار الذي عمم فيه نقمته على كل الذين يوالون عليا وأهل بيته، ووزعه على عماله في الآفاق، وهو " أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي بن أبي طالب وأهل بيته شهادة ".

ثالثا - " لا تتركوا خبرا برواية أحد من المسلمين في أبي تراب، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ".

رابعا - " انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيت النبوة،

فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه ".
خامسا - من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم (يعني عليا وأهل بيت النبوة)
فنكلوا به، واهدموا داره ".

وبهذا صارت تهمة الكفر أخف من تهمة حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله،
وبهذا صرح معاوية بالأسباب الحقيقية لمنع رواية وكتابة أحاديث الرسول صلى الله
عليه وآله.

* - الفصل الثالث - موقف الرسول الأعظم من التحالف.

١ - أصبح التحالف المكون من بطون قريش مهاجرها وطيئتها، ومن منافقي المدينة وما حولها من الأعراب، ومن المرتزقة، دولة حقيقية برئاسة عمر وأبي بكر وبقية قادة التحالف، ولكنها دولة غير معلنة، دولة تؤمن بأن مهمة النبي تنتهي بتبليغ القرآن، وأن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لأحاديث النبي ولا لتوجيهاته. ومن المؤكد أن رسول الله كان على علم كامل بما يجري، فهو يعلم بقيام التحالف الجديد، ويعرف قيادته والعناصر المنخرطة فيه، ويعرف الأهداف التي جمعت المتحالفين،

وأن معرفة كل هذا لا تحتاج إلى كبير عناء، وذلك بملاحظة النقاط التالية:

أولا - هناك أعداد كبيرة من المنافقين في المدينة، قال تعالى: " وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، لا تعلمهم نحن نعلمهم،

سنعذبهم مرتين " (٩٣)، وتلك حقيقة من حقائق المجتمع الذي كان يقوده الرسول صلى الله عليه وآله.

ثانيا - بعد الفتح كان الناس يعلمون علم اليقين أن قسما كبيرا من الطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح كانوا منافقين، يطنون الكفر رغم تلفظهم بالشهادتين. ثالثا - أن قسما كبيرا من القبائل العربية قد تلفظوا بالشهادتين طمعا بالمغنم، فهم بمثابة مرتزقة، يأكلون من يقع ويغنمون منه حتى لو كان هو رسول الله (ص)، وهم الذين عبر عنهم القرآن بقوله: " يتربص بكم الدوائر " (٩٤). هذه الحقائق كانت معروفة من قبل عامة المسلمين، فمن باب أولى تكون معروفة للنبي (ص).

ولا شك أن محور التحالف الذي قام بين هذه الفئات الثلاثة لم يكن إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله، فإن النبوة أصبحت أمرا مفروضا ومعترفا به لدى الجميع واقعا

أو تظاهرا، وإنما قام التحالف على عدم جواز أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، وعلى أن لا يكون لأهل البيت أي موقع مميز في الأمة بعد وفاة النبي، وهذا هو الثمرة

المرة التي أنتجها تحالف البطون مع المنافقين والمرترقة من الأعراب.
٢ - بما أن ظاهرة النفاق كانت من الحقائق الثابتة في القرآن والسنة،
ومن الحقائق التي أجمعت عليها الأمة، وأن المنافقين كانوا موجودين في مجتمع
المسلمين،

لهم قيادة معروفة في المدينة وما حولها وهو عبد الله بن أبي، وقيادة في مكة معروفة
لرسول وللأمة بلحن القول، فلا بد من السؤال عن هؤلاء المنافقين وأين ذهبوا
بعد موت النبي صلى الله عليه وآله، إذ أننا لم نعد نسمع لهم ذكرا بعد وفاة رسول الله،
فهل كانوا ينتظرون وفاته لكي يصلحوا أنفسهم بين عشية وضحاها، أو كانوا
ينتظرون وفاته لكي يتبخروا من الوجود؟

الملاحظ أننا لم نجد منافقا واحدا اعترض على أبي بكر أو عمر أو
عثمان أو معاوية أو مروان بن الحكم، أو امتنع عن بيعتهم، فالجواب الوحيد
المعقول عن كل هذه التساؤلات هو أن المنافقين كانوا مع هؤلاء ظاهرا وباطنا،
وفي مقابل هذا الموقف حصل المنافقون على صك بإلغاء ظاهرة النفاق، وبالاعتراف
بأن المنافقين صاروا مؤمنين، مع أن الله يشهد بأن المنافقين لكاذبون.

فالذين اعترضوا على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ومروان
هم: علي بن أبي طالب: وبنو هاشم، وسعد بن عباد، والحباب بن المنذر،
وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي بن كعب، والبراء بن
عازب،

وخالد بن سعيد الأموي، وجماعة من المهاجرين والأنصار (٩٥)، هؤلاء هم
المعتضون،

وأما المنافقون، فقد وقفوا مع السلطة وتبنوا مواقفها ودافعوا عنها بحرارة،
فنالوا حصتهم من الغنائم، وولتهم السلطة على رقاب الناس.
وقد تشيع وسائل إعلام الذين استولوا على السلطة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله
أن الذين عارضوا هذه السلطة هم المنافقون، إلا أن هذه الإشاعة يكذبها واقع

الحال، فإن الله ورسوله والمؤمنين يشهدون بأن الدعوة للإسلام والدولة الإسلامية ما قامت إلا على أكتاف الذين عارضوا السلطة التي تمخضت عنها السقيفة، ويشهدون بحسن إسلامهم وعظيم جهادهم وصدق ولائهم لله ورسوله.

٣ - السؤال المطروح: ما هو موقف الرسول صلى الله عليه وآله من هذا التحالف ومن كل جديد جاء به التحالف؟

لا شك أن الرسول بشر ولكنه ليس إنسانا عاديا، بل هو معد إعدادا إلهيا ليكون نبيا ورسولا وإماما، وكان يجمع بين النبوة وبين رئاسة الدولة الإسلامية وقيادتها.

إن الانطلاق من هذه الحقائق يجنبنا القياس الخاطيء،: ويجعل من غير المناسب أن يقول زيد من الناس: لو كنت مكان الرسول لفعلت كذا وكذا بهذا التحالف.

لم تكن الدولة التي شيد الرسول أركانها دولة بوليسية تحشر نفسها في ضمير الإنسان وقلبه وتحاسبه على دخيلة نفسه، وإنما هي دولة مثلي قامت لرد اعتبار الإنسان وكرامته التي داسها الطغاة، وتوجيهه في إطار عملية الابتلاء الإلهي، فترسم له الأهداف الإلهية التي خص الله بها الإنسان، وترشده إلى أيسر الطرق لبلوغها، ولم يكن من شأن دولة النبي صلى الله عليه وآله أن تضع رقيباً على الإنسان يرفقه حيثما حل، ولا تجبره إجباراً على فعل الخير واجتناب الشر، لأنها إن فعلت ذلك ألغت مبررات الثواب والعقاب، وعطلت عملية الابتلاء الإلهي. وأعظم إنجاز حققه النبي الكريم صلى الله عليه وآله هو إخراجه للعرب من دائرة الشرك إلى دائرة التوحيد، فلم يعد بوسع أحد أن يجهر بالشرك، فكلهم موحد لله، أو متظاهر بالتوحيد، وما دام الجميع يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله،

وأن محمدا رسول الله، فلا سلطان للنبي عليهم وراء ذلك، وليس من صلاحيته أن يقول لأحد، أنت تظهر الشهادتين وتبطن الكفر بهما، لأن باطن الإنسان منطقة محصورة على النبي وغيره، والله سبحانه هو المختص بمحاكمة الإنسان ومحاسبته على ما في باطنه، ومن هنا فحسب موازين الشرع الإلهي التي يأخذ بها النبي ودولته لا سلطان لمحمد على التحالف ما دام أعضاؤه مقرون بالشهادتين وملتزمون ظاهريا بأحكام الدين.

صحيح أن الاتفاق الجرمي كان حاصلًا في نفوس أعضاء التالف، فالله سبحانه أمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينصب عليًا إمامًا للأمة من بعده، واختص ذرية النبي بالإمامة، وهذا الترتيب الإلهي لمصلحة العباد بالدرجة الأولى والأخيرة، وكان التحالف يرفض ذلك، ويعمل سرا للحيلولة بين الإمام وحقه في الإمامة، إلا أنه لم يخطط خطوات عملية تجعله تحت طائلة المؤاخذة والعقوبة، وإن كانت هناك بعض القرائن التي تشي بدخيلة نفوس البعض، فهذا عمر يقول إنه ليس من العدل أن يستأثر الهاشميون بالملك وبالنبوة معًا، فيجيبه النبي بأن هذا الترتيب ليس من عنده، وإنما هو أمر إلهي، فيمط عمر شفثته غير مقتنع بالجواب، فالخلل في إيمان عمر وتسليمه، وعلى مجتمع المؤمنين أن يحذر هذا الخلل، ويحول دون القناعات المخالفة للترتيبات الإلهية أن تجد طريقها للتطبيق العملي، فإذا لم المجتمع بوظيفته هذه، كان هو المفرط بحق نفسه، وسيكتوي بنار الانحراف في وقت يطول أو يقصر، ويدفع ثمن المعصية، وحينئذ لا ينفعه عمر ولا قادة التحالف. إن قيام التحالف حالة من الانحراف عن الدين الحنيف، وكان ينبغي أن يكون حافزا للصادقين من المؤمنين ليقفوا بحالة يقظة تامة ووحدة حقيقية تواجه ذلك التحالف وتمنعه من تحقيق أهدافه، بالالتفات حول الإمام المعين من قبل النبي،

ولكن هذا لم يحدث، فقد وجد الإمام علي نفسه وحيدا مع أهل بيته، وقد قال يصف حالته بعد النبي واستيلاء التحالف على السلطة: " فنظرت، فإذا ليس لي رافد ولا مساعد، إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الفنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من وخز الشفار " (٩٦).

لقد فوجئ المؤمنون بدقة تخطيط التحالف وأنهم أمام تنظيم مسلم وضع يده على مواقع السلطة، فواجهوا الوضع الجديد بوصفهم أفرادا لا جماعة، وذهلوا عن قائد الجماعة، فرأوا أن التسليم أولى، وأن قوتهم لا تكاد تذكر بالنسبة إلى جموع التحالف.

والحقيقة أن الكثرة والقلّة لا أثر لها في موازين الإسلام، فطول حياة النبي صلى الله عليه وآله كان المؤمنون قلة، وكان المنافقون واليهود والمرترقة كثرة، ومع هذا

قادت القلة المؤمنة هذا المجتمع، لأنها سلمت للنبي وأطاعته، فلو أن القلة المؤمنة كانت محصنة بالقناعة الكافية، ومطيعه للولاية الراشدة، لما تمكن التحالف من النجاح.

والملاحظ أن قرار رئيس الدولة لم يكن ليكفي لإلغاء الانحراف، فلو فرضنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله بوصفه رئيسا أصدر أمرا بلزوم ألقاء أعضاء التحالف

لسلاحهم وتعهدهم بعدم مواصلة نشاطهم، والتزامهم بإطاعة الولي من بعده، لما كان لقرار الرسول هذا تأثير يذكر أمام تجمع التحالف المقتنع بأهدافه، لأن هذا القرار لم تكن له قوة بشرية متكاثفة تضعه موضع التنفيذ، ولو كانت هذه القوة متوفرة لوقفت بوجه قادة التحالف حينما اتهمت رسول الله بالهجر، ومنعته من كتابته وصيته.

والملاحظ أيضا أنه لم يكن بوسع النبي صلى الله عليه وآله أن ينظم الفئة المؤمنة

ويكتلها لمواجهة عصر ما بعد النبوة، إذ يتعذر على رسول الله أن ينفذ ذلك عمليا، لقد أعلن الرسول يوما أنه سيخرج لأداء العمرة، فخرج معه ١٥٠٠ رجل يظهرون الشهادتين، وعسكر بهم في الحديبية، وكان من جملة الخارجين رأس النفاق عبد الله بن أبي، وحينما طلب النبي من أصحابه أن يبائعوه على الموت، تقدم المؤمنون والمنافقون معا فبايعوا الرسول على ذلك، وبايع معهم عبد الله بن أبي، وعندما عرضت قيادة البطون على ابن أبي أن يطوف بالكعبة رفض قائلا، لن أطوف وقد منعتم رسول الله. فكيف يتمكن النبي والحال هذه أن يقول للصادقين: إنني أدعوكم إلى اجتماع خاص، وأنتم أيها المنافقون ابقوا في أماكنكم؟ إن هذا أمر عسير وغير منطقي.

هذا، ولكن المؤمن الصادق يكون حيث أراده الرسول أن يكون، فتعليمات الرسول واضحة كالشمس، وراية علي كانت مرفوعة، فما ضر المؤمنين يومئذ لو انضوا

تحتها، ليهزم الإمام بهم المنحرفين؟ إنهم لم يلبوا دعوة الرسول، وتركوا الإمام من من بعده وحيدا، وأفسحوا المجال لخيل التحالف لتمر وتدوس بسنابكها أهل بيت النبوة!

تلك كانت طبيعة القوم الذين قادهم النبي صلى الله عليه وآله، ولقد دفعوا الضريبة كاملة فيما بعد، وسقطوا في مخالاب الظالمين، لم يضروا النبي وإنما ضروا أنفسهم، وكلما جاء ظالم ضيق الخناق عليهم، حتى جاء يزيد بن معاوية فاستباح المدينة المنورة،

وقتل عشرة آلاف في يوم واحد، وحمل ألف بكر من دون زوج، وختم أعناق من بقي من الصحابة وأيديهم إمعانا في إذلالهم، وبايعوا على أنهم خول، وعبيد لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية!

* هوامش الباب الثالث:

- ١ - يونس - من الآية ١٥ .
- ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٩ .
- ٨ - مغازي الواقدي
- ٩ - التحريم - من الآية ٤ .
- ١٠ - تفسير ابن كثير ٤ / ٦٣٥ - ٦٣٦ طبعة إحياء التراث العربي .
- ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ -
- ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ -

- ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - سنن أبي داود ٢ /
١٢٦، سنن الدارمي ١ / ١٢٥، مسند أحمد
٢ / ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، مستدرک الحاکم ١ / ١٠٥، جامع بیان العلم وفضله
لابن عبد البر ١ / ٨٥.
٣٠ - ٣١ - تذکرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ - ٣.
٣٢ - طبقات ابن سعد ٥ / ١٤٠.
٣٣ - کنز العمال ٥ / ٢٣٩ الحدیث ٤٨٦٥، منتخب الكنز ٤ / ٦١.
٣٤ - تذکرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ - ٣.
٣٥ - بیان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ١٤٧، تذکرة الحفاظ ١ / ٤ - ٥.
٣٦ - منتخب الكنز، بهامش مسند أحمد ٤ / ٦٤.
٣٧ - شرح نهج البلاغة بتحقیق حسن تمیم ٣ / ٥٩٥، الاحداث للمدائني يذكر
الجزء والصفحة.
٣٨ - صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي: من آذيته، صحيح مسلم،
كتاب البر والصلة. باب من لعنه النبي.

- ٣٩ - القلم - الآية ٤ .
- ٤٠ - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات باب تكريم الدعاء، صحيح مسلم، باب السحر.
- ٤١ - صحيح البخاري، باب قوله تعالى: " وصل عليهم "، وكتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه، صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن.
- ٤٢ - سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي ص ٢١، تذكرة الخواص ص ٦٢.
- ٤٣ - صحيح البخاري ٧ / ٩، ٤ / ٣١، ١ / ٣٧، ٥ / ١٣٧، ٢ / ١٣٢، صحيح مسلم ٢ / ١٦، ٥ / ٧٥، ١١ / ٩٤ بشرح النووي، مسند أحمد ١ / ٣٥٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٣، الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٢٠، شرح نهج البلاغة ٣ / ١١٤، ١٢ / ٧٩.
- ٤٤ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٤ الطبعة الأولى في مصر وبيروت، ١٢ / ٧٩ تحقيق محمد أبو الفضل طبعة مكتبة الحياة، ٣ / ٦٧ طبعة دار الفكر.
- ٤٥ - النحل - الآية ٤٤ .
- ٤٦ - النساء - من الآية ٨٠ .
- ٤٧ - تاريخ يعقوبي ٢ / ١٠٦ - ١٠٧، شرح نهج البلاغة ٨ / ١١١ .
- ٤٨ - تاريخ الطبري ٥ / ٢٢، شرح نهج البلاغة ٨ / ١١١، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٠٧ .
- ٤٩ - شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي ص ٤٠٨ .
- ٥٠ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ١٧٨ .
- ٥١ - شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي ص ٤٠٩، شرح نهج البلاغة ١ / ٢٤٣ .

- ٥٢ - أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٧، مستدرك الحاكم ٤ / ٤٧٩ - ٤٨١ .
- ٥٣ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٨ .
- ٥٤ - شرح نهج البلاغة ١ / ٢٣٣ .
- ٥٥ - مستدرك الحاكم ٤ / ٤٧٩ .
- ٥٦ - شرح نهج البلاغة ١ / ٦٧، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ .
- ٥٧ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١ / ١٥ .
- ٥٨ - تاريخ الطبري ٤ / ٥٣، العقد الفريد ٢ / ٢٥٤ .
- ٥٩ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١ / ٤٤، صحيح البخاري - - - - -،
صحيح مسلم - - - - -، سنن البيهقي - - - - - .
- ٦٠ - المصادر المتقدمة في الهامش (٥٩)، مرجع الذهب للمسعودي ٢ / ٢٥٣ .
- ٦١ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٢، أعلام النساء ٢ / ٧٨٦ .
- ٦٢ - جامع الترمذي ١٣ / ١٨٣ - ١٨٦، تيسير الوصول لابن الربيع
- ٣ / ٢٦٠، الرياض النضرة للطبري ١ / ٢٠، الغدير للأميني ١٠ / ١٤٨ .
- ٦٣ - مستدرك الصحيحين ٣ / ٢١١، الرياض النضرة ٢ / ٢٠٩،
صحيح ابن ماجه ص ٣٠٩، تاريخ بغداد ٣ / ٤٣٤ .
- ٦٤ - شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم ٣ / ٣٥١ .
- ٦٥ - تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي مادة (برطش) .
- ٦٦ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١ / ٥ .
- ٦٧ - مغازي الواقدي، معركة بدر .
- ٦٨ - مغازي الواقدي ١ / ١٥٠ .
- ٦٩ - تفسير القرطبي ١ / ٣٤، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٦٥، شرح نهج

- البلاغة ٣ / ١١١، الدر المنثور للسيوطي ١ / ٢١، الغدير للأميني ٦ / ٢٣٥.
- ٧٠ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦١.
- ٧١ - جامع العلم لابن عبد البر ص ٦٦، تفسير القرطبي ٥ / ٩٩، تفسير ابن كثير ١ / ٤٦٧، الدر المنثور للسيوطي ٢ / ١٣٣، الغدير للأميني ٦ / ١٢٤، سيرة عمر لابن الجوزي ص.
- ٧٢ - كنز العمال ٨ / ٢٩٨، حاشية السندي على سنن ابن ماجه ١ / ٥٨٣.
- ٧٣ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٦.
- ٧٤ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٧.
- ٧٥ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٩.
- ٧٦ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٨.
- ٧٧ - مغازي الواقدي ٢ / ٦٠٩.
- ٧٨ - صحيح مسلم ١ / ٤٤، سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٨، شرح نهج البلاغة ٣ / ١١٦،
- فتح الباري ١ / ١٨٤، الغدير للأميني ٦ / ١٧٦، النص والاجتهاد للحر العاملي ص ١٩١.
- ٧٩ - صحيح مسلم ١ / ٤١، الغدير ٦ / ١٧٦.
- ٨٠ - شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٤٠٤.
- ٨١ - سنن الدارمي ١ / ١٢٥، سنن أبي داود ٢ / ١٢٦، مسند أحمد ٢ / ١٦٢، مستدرک الحاکم ١ / ١٠٥ - ١٠٦، جامع بيان العلم لابن عبد البر ١ / ٨٥.
- ٨٢ - صحيح البخاري ١ / ٦٩ كتاب الوضوء الحديث ١٤٦.
- ٨٣ - النجم - الآيات ١ - ٥.
- ٨٤ - الأنعام - الآية ٥٠، يونس - الآية ١٥.
- ٨٥ - الأعراف - الآية ٢٠٣.

- ٨٦ - يونس - من الآية ١٠٩ .
٨٧ - الأحزاب - من الآية ٢ .
٨٨ - الحشر - الآية ٧ .
٨٩ - النساء - من الآية ٨٠ .
٩٠ - الأنفال - من الآيات ١ ، ٢٠ ، ٤٦ .
٩١ - آل عمران - من الآيات ٣٢ ، ١٣٢ .
٩٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٥٩٥ - ٥٩٦ .
٩٣ - التوبة - من الآية ١٠١ .
٩٤ - التوبة - من الآية ٩٨ ، الفتح - من الآية ٦ .
٩٥ - تاريخ الخميس ١ / ١٨٨ ، العقد الفريد ٣ / ٦٤ ، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦ ،
ابن شحنة ، بهامش تاريخ ابن الأثير ص ١١٢ ، السيرة الحلبية ٣ / ٣٦٤ - ٣٦٧ .
شرح نهج البلاغة ٢ / ١٣٠ ، النص والاجتهاد ص ١٢٤ - ١٢٥ .
٩٦ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٦٩ .

الباب الرابع
الانقلاب الأسود على الشرعية الإلهية

* الفصل الأول - التنظير للانقلاب.

١ - لقد أخفى الانقلابيون أو قادة التحالف مشاعرهم الحاسدة والحاقدة على آل محمد، وتناسوا جراحات الماضي، فلم يذكروا قتلاهم في بدر وأحد والخندق،

ولم يظهروا مشاعرهم وغصات حلوقهم، ولم يشعروا عليا بأنه قاتل الأعبة، ولا الرسول صلى الله عليه وآله بأنه المسبب في ذلك، بل صار من مصلحتهم أن يعترفوا به،

لأنهم أدركوا أن الرسول قد بنى ملكات عريضا، فصاروا يطمحون لبقاء هذا الملك والاستيلاء عليه، وهذا يتوقف على الاعتراف بالنبوة وبالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله،

الأمر الذي يمكنهم من أن يحكموا العرب بهذين الشعارين، ويضمنوا طاعتهم بهما. فمحمد من هذه الجهة قد خدمهم ورقاهم من حكم بلدة مكة إلى حكم بلاد العرب كلها، وفتح أمامهم أبواب الخيرات التي ستندفق عليهم عن طريق الجهاد. ٢ - ولما رأت بطون قريش إصرار النبي صلى الله عليه وآله على ولاية علي بن أبي طالب

من بعده، وإصراره على إعطاء أهل بيت النبوة موقعا متميزا في قيادة الأمة، وسمعوا إعلانات النبي المتكررة بشأن هذا الموضوع، وحرصه العميق على توضيح التفاصيل المتعلقة بالقيادة من بعده، لما رأت بطون قريش كل ذلك، خططت لمواجهة الموقف بأسلوبين:

أولهما - إطلاق حملة الإشاعات التي تقدم ذكرها، من أجل التشكيك بشخصية الرسول وأقواله، وصولا إلى إبطال مفعول البيان النبوي المتعلق بالإمامة أو القيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

والأسلوب الثاني - التعاون مع كل العناصر التي تكره آل محمد، فمدت بطون قريش يدها إلى فريقين:

أولهما - المنافقون الذين كانوا حقيقة من حقائق المجتمع في المدينة المنورة وما حولها، والذين شكلوا أعظم المشكلات التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أعلن المنافقون أنهم مع دولة البطون، وأنه ليس من العدل أن يكون النبي من بني هاشم، وأن يكون الخليفة منهم أيضا.

والفريق الثاني - طلاب المكاسب الدنيوية، يقول المؤرخون في وصف أحداث يوم السقيفة: " وقد أقبلت قبيلة أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فكان عمر بن الخطاب يقول: ما هو أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر " (١).

فمن الذي أخبر عمر أن أسلم ستقف معه إن لم يكن هناك اتفاق سابق بين قيادة التحالف وقبيلة أسلم؟ ومن الذي أخبر أسلم بانعقاد الاجتماع ودعاها لتحضر وتبايع وتحقق لعمر ما أسماه نصرا؟

ولقد استفادت بطون قريش من الخصومة القديمة بين قبيلتي الأوس والخزرج، واتخاذ كل منهما موقفا مناقضا لموقف الأخرى، فحينما قدم الخزرج سعد بن عبادة لكبر سنه وشرفه، نهض بشير بن سعد في اللحظة الحاسمة وقال:

" إن محمدا رسول الله رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه " (٢).

وفي نفس اليوم الذي بويع فيه أبو بكر ذهب سرية فيها أسيد بن حضير سيد الأوس - أو هكذا أظهر - لاستحضار علي للبيعة، وحرق بيت فاطمة بنت رسول الله على من فيه، ولا يعقل أن يكون هذا وليد لحظته، بل هو ثمرة اتفاق وتدبير سابق، وصدق رسول الله حينما قال لعلي يوما: " ضغائن في صدور أقوام لا بيدونها لك إلا بعدي " (٣).

٣ - رفع الانقلابيون مجموعة من الشعارات المختلفة تبعا لاختلاف المراحل، فكان لكل مرحلة شعارها، ومن هذه الشعارات:

أولا - الشعار الذي رفعوه في مرحلة الإعداد للانقلاب، وهو، منع الاجحاف بحق البطون، بالحيلولة دون جمع الهاشميين للنبوة والخلافة، وأن الصواب والعدل إنما يتحقق باختصاص الهاشميين بالنبوة، وترك الخلافة للبطون لا يشاركهم فيها هاشمي.

وقد أفصح عمر عن هذا الشعار أثناء خلافته في حوار له مع ابن عباس فقال: " يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيئه، فقلت: إن لم أكن أدري، فإن أمير المؤمنين يدري. فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة... فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووقفت، قال ابن عباس: إن تأذن لي في الكلام وتحط عني الغضب تكلمت، قال عمر: تكلم، قال ابن عباس: فقلت أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لنفسها فأصابت ووقفت، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة، فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهية فقال: " ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله، فأحبط أعمالهم " (٤) ثانيا - شعار أن أقارب النبي وعشيرته أولى بسلطانه وميراثه.

وقد رفعوا هذا الشعار عندما تأكدوا أن النبي (ص) قد انتقل إلى جوار ربه، وأن آل محمد مشغولون بمصائبهم، وليس بإمكانهم ترك النبي والخروج، فلم يكن أمام قادة البطون إلا الأنصار، فاحتجوا عليهم بأنهم أقارب محمد وأهله وعشيرته، وأنهم الأولى بميراثه وسلطانه.

قال أبو بكر في السقيفة: " الناس تبع لنا، ونحن عشيرة الرسول "، وقال عمر: " إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبهها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته " (٥).

وعندما قال الأنصار: " لا نبايع إلا عليا " (٦)، تجاهل الموجودون من قادة التحالف هذا الطلب، وقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم. فبايعهم الأنصار على أساس أنهم أقارب النبي والأحق بميراثه.

ثالثا - شعار أن الأمر شورى، وقد رفعوا هذا الشعار بعد أن قبضوا على مقاليد الأمور وبايعهم أوليائهم بالخلافة، واحتج على ذلك آل محمد، حينئذ رفعوا شعار أن أمر الخلافة شورى بين المسلمين، وأن المسلمين قد اختاروا أبا بكر أو الخلفاء. قال أبو بكر للعباس: " فخلي الرسول على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلتهم متفقين غير مختلفين، فاختروني عليهم ولما ولأمرهم راعيا " (٧).

أي أنهم كانوا يلبسون لكل حالة لباسها، ففي مواجهة الأنصار وغياب آل البيت احتجوا بالقرابة من رسول الله، ولما قبضوا على مقاليد الأمور وواجهوا آل محمد بأمر واقع، رفعوا شعار الشورى، واحتجوا باختيار الناس ومبايعتهم لهم. رابعا - شعار حسبنا كتاب الله، وقد طرحوا هذا الشعار عندما بدأ الرسول بالتركيز المكثف على الخلافة من بعده، وبين إمامة علي والموقع المميز لأهل البيت، وقد طرح هذا الشعار بصورة سرية أول الأمر، ثم لم يلبثوا أن واجهوا به رسول الله وهو على فراش الموت (٨)، ليمنعوه من كتابه. وصيته: بعد أن علموا أنه يريد تأكيد إمامة علي وإثبات ولايته خطيا.

* الفصل الثاني - توقيت الاعلان عن الانقلاب.

١ - لم يكن انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى مفاجأة للمسلمين، فقد أعلن الرسول ذلك أكثر من مرة، وقال للناس في حجة الوداع: " لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا "، وقال في غدير خم: " يوشك أن أدعى فأجيب ".

وكان رسول الله يرقد على فراش المرض في حجرة عائشة، وقد جرت العادة أن تجتمع الأسرة عند مريضها، وأن يحضر وجهاء القوم عند زعيمهم إذا مرض مرض الموت، لكي يلخص لهم الموقف ويبين لهم توجيهاته النهائية، ولكي يعبروا له عن ارتباطهم به، وعن تقديرهم لجهوده التي بذلها طيلة فترة قيادته لهم.

ومن المؤكد أن رسول الله كان قد حدد موعدا لكتابة توجيهاته النهائية، وطلب حضور عدد من أهل ثقته وخواصه ليشهدوا كتابة وصيته، ليكونوا عوناً لولي الأمر من بعده، وحجة على خصمه، ذلك أن محمداً ليس رجلاً عادياً، وإنما هو خيرة الله من خلقه، ورسول الله، وولي الأمة، وقائد دولتها، فمن غير الممكن عقلاً أن لا يستحضر أحداً عند كتابة توجيهاته النهائية.

وبما أن الرسول صلى الله عليه وآله قد حدد الموعد داخل بيته، ولم يعلم به إلا أهل بيت النبوة وزوجات الرسول، فكيف تسنى لعمر بن الخطاب أن يعرف هذا الموعد، حتى جاء إليه ومعه حشد من أنصاره ومن قادة التحالف، ليحولوا بين رسول الله وبين كتابة توجيهاته النهائية؟ ومن الذي أخبر عمر بمضمون هذه التوجيهات حتى عرفها تماماً كما اعترف هو بذلك فيما بعد بقوله: " لقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرح باسم علي بن أبي طالب، فمنعته " (٩).

لا بد أن يكون عمر قد اطلع على موعد كتابة الوصية ومضمونها من مصدر ما داخل بيت رسول الله، وفي وقت أتاح له الفرصة الكافية ليجمع قادة التحالف

ويطلعهم على الأمر، ويتفق وإياهم على خطة للحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد. فمن هو هذا المصدر في بيت رسول الله؟

لا بد أن يكون هذا المصدر أو المخبر يكره عليا بن أبي طالب بالضرورة، ويعارض خلافته للنبي، ولا بد أن تكون لهذا المخبر علاقة قوية تربطه بعمر وأبي بكر، ولما كان من المستحيل أن يكون المخبر من أهل بيت النبوة، فينحصر الأمر بالخدم أو بإحدى زوجات الرسول، والخدم لا يجرؤون مطلقا على هذا الأمر الخطير، فيبقى الاحتمال المؤكد أن يكون المخبر هو إحدى زوجات الرسول، بعد سماعها

للرسول يتكلم بذلك مع الإمام علي، فسارعت باطلاع عمر على وقت كتابة الوصية ومضمونها.

هنا تقفز إلى الذهن حفصة زوجة الرسول وابنة عمر بن الخطاب، وعائشة زوجة الرسول وابنة أبي بكر، ربما كانت إحداهما قد أخبرت عمر أو كلتاهما معا، قال الواقدي: إن أبا بكر وعمر كانا معا لا يفترقان، وإن عائشة وحفصة ابنتاهما كانتا معا (١٠)، وقد أخبرنا الله تعالى عن تظاهر زوجتين من زوجات الرسول عليه، فقال: " وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير " (١١)، وقال عمر بن الخطاب فيما بعد: إن اللتين تظاهرتا على الرسول

هما حفصة وعائشة، كما أخرج البخاري في تفسير هذه الآية (١٢)، وإن الله تعالى طلب منهما التوبة إلى الله، والتوبة لا تطلب إلا من المذنب (١٣)، وقد ضرب الله لهما مثلا امرأة نوح وامرأة لوط (١٤)، وقد قالت عائشة للنبي يوما: " أنت الذي تزعم أنك رسول الله " (١٥)، كل هذا يؤكد أن تكون إحداهما قد أخبرت عمر بموعد

كتابة التوجيهات ومضمونها، ولكن من منهما على وجه التحديد؟ لتتابع استقراءنا للنصوص، ومنها:

أولا - ما أورده البخاري في صحيحه، قال: " قام النبي (ص) خطيبا، فأشار

نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان " (١٦)، وفي صحيح مسلم: " خرج رسول الله من بيت عائشة فقال:

رأس الكفر من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان " (١٧). فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الرسول كان يرقد في بيت عائشة، قرب احتمال أن تكون عائشة هي التي سربت خبر كتابة الوصية ومضمونها لعمر. ثانيا - النصوص التي تثبت كراهية عائشة للإمام علي وحقدتها البالغ عليه، بنحو يجعلها لا تطيق حتى التلفظ باسمه، ومنها:

١ - عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن عائشة: لما ثقل رسول الله فاشتد به وجعه... خرج بين رجلين تخبط رجلاه الأرض بين ابن عباس (تعني الفضل) وبين رجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بن عباس بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب، ثم قال: إن عائشة لا تطيب له نفسا بخير " (١٨).

٢ - عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة، فقالت: " أما علي فلست قائلة لك فيه شيئا، وأما عمار فقد سمعت رسول الله يقول فيه: لا يخبر بين أمرين إلا اختار أَرشدَهُما " (١٩) ٣ - فيما بعد خرجت على الإمام علي وحاربتة، ونبحتها كلاب الحوآب، بدعوى المطالبة بدم عثمان، مع أنها كانت تحرض على قتله (٢٠)، وقد خسرت الحرب

ووقعت أسيرة، فأعادها الإمام علي معززة إلى بيتها الذي خرجت منه وقد أمرها الله أن تقر فيه، إلا أنها حينما بلغها موت الإمام علي سجدت لله شكرا (٢١) هذه هي طبيعة مشاعر عائشة تجاه الإمام علي، فمن الطبيعي أن تخبر عمر وأبا

بكر بموعد الوصية ومضمونها، وأن تشترك معهما باتخاذ كل ما يلزم للحيلولة بين الإمام وحقه الشرعي بالقيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ثالثا - النصوص التاريخية التي تظهرنا على المكانة الخاصة التي تمتعت بها عائشة في عهدي أبي بكر وعمر، تجعلنا نجزم بأنها هي التي أخبرتهما بموعد ومضمون التوجيهات النبوية الإلهية، فلا أحد من المسلمين والمسلمات كان يأخذ عطاء أكثر مما تأخذه عائشة وحفصة، فلكل واحدة منهما اثنا عشر ألفا، بينما بقية نساء النبي كان لكل منهن عشرة آلاف.

وكلمة عائشة كانت عند عمر أمرا، ذلك أنه لما طعن عمر، أرسل ابنه عبد الله ليستأذن من عائشة فيدفن في بيت الرسول إلى جانبه وجانب أبي بكر، فقالت عائشة، حبا وكرامة، ثم قالت لعبد الله: أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فإنني أخشى عليهم الفتنة. عندئذ قال عمر: ومن تأمرني أن أستخلف؟ (٢٢)

فلو أمرته عائشة أن يستخلف أعرابيا من البادية لفعل، لأنه كان مدينا لها بمنصب الخلافة، إذ لو لم تخبره بموعد ومضمون الوصية النبوية لسار الأمر سيرا طبيعيا، ولما اختلف اثنان فيما بعد، لكنها أطلعت على الأمر، فسارع بحشد قادة التحالف، وحال بين الرسول وكتابة ما يريد، وجرح مشاعره الشريفه

* - الفصل الثالث - الاعلان عن وجود الانقلاب.

١ - حضر الذين اصطفاهم النبي صلى الله عليه وآله ليكتب أمامهم وصيته وتوجيهاته النهائية، وفجأة اقتحم عمر بن الخطاب الحجرة ومعه قادة التحالف وعدد كبير من أعوانه

الذين اتفق معهم على خطة تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد. حضور عمر وأعوانه لم يكن بالحسبان، فكيف يتصرف النبي أمام هذه المفاجأة؟ هل يلغي الموعد ويضرب موعداً جديداً؟ أم يمضي قدماً إلى حيث أمره الله؟ لقد اختار النبي الحل الأخير، فقال: " قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً " وفي رواية أخرى: " إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً "، وهناك خمس روايات أخرى بهذا المضمون، وإن اختلفت لفظاً. ولو تأملنا في هذه الروايات السبع لم نجد فيها ما يدعو إلى الرفض والاعتراض، إذ من يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم إن الرسول في بيته، ومن حق الإنسان أن يقول في بيته ما يشاء، والرسول مسلم، ومن حق المسلم أن يوصي، ثم إنه ما زال رسولا وقائداً للأمة، وسيبقى إلى أن تصعد نفسه الطاهرة إلى بارئها يتمتع بصلاحيات الرئيس. ففي كل المعايير العقلية والإنسانية والدينية، لا يوجد مسوغ لمواجهة النبي بسبب قوله: (هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)، ولكن ما إن أتم رسول الله كلامه حتى انبرى عمر بن الخطاب موجهها كلامه للحاضرين ومتجاهلاً للنبي: " إن النبي يهجر، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله " (٢٣)، وعلى الفور ضج أتباعه بصوت

واحد، متجاهلين الرسول وموجهين كلامهم للحضور: هجر رسول الله، إن رسول الله يهجر، ما شأنه أهجر، استفهموه، ما له أهجر؟ وردد أتباع عمر مع كل جملة من الجمل الأربع قافية: القول ما قال عمر،

متجاهلين بالكامل وجود رسول الله (ص).
صعق الحضور من غير حزب عمر من هول ما سمعوا، فقالوا: قربوا يكتب
لكم رسول الله، فرد عمر عليهم متجاهلا وجود النبي: إن النبي يهجر، وعندنا كتاب
الله، حسبنا كتاب الله، وأحدث أتباعه الضجيج نفسه، وصاحت النسوة: " ألا
تسمعون رسول الله؟ قربوا... فقال عمر: إنكن صويحبات يوسف، فقال النبي
صلى الله عليه وآله: دعوهن، فإنهن خير منكم.
ويبدو أن النساء المجتمعات في بيت رسول الله بمناسبة مرضه سمعن
اللغظ والمشادة بين عمر وأتباعه من جهة وبين المؤمنين الصادقين الذين استجابوا
لله وللرسول، وعندئذ تجمعن من وراء الستر أو عند الباب، وتعجن مما يفعل عمر
وحزبه، وصحن: ألا تسمعون رسول الله... فنهرهن عمر، فرد عليه الرسول
ذلك الرد الموجه.
كثر اللغظ والاختلاف، وارتفعت الأصوات، وتنازع الفريقان،
وصارت الكتابة في ذلك الجو مستحيلة، فقد رأى رسول الله كثرة حزب عمر
وإصرارهم على فعل أي شيء يحول دون الرسول وكتابة ما أراد، فلو أصر النبي على
الكتابة وفعل ذلك، لأصر عمر وأتباعه على إثبات هجر رسول الله، لإبطال مفعول
ما كتب، وهذا سيجر إلى عواقب مدمرة بسبب التشكيك بكل ما قاله النبي صلى الله
عليه وآله،
لذلك قرر النبي أن يصرف النظر عن كتابة توجيهاته النهائية، وأن يحسم الموقف،
فقال: " دعوني، فالذي أنا فيه خير ما تدعوني إليه " أو " قوموا عني، ولا ينبغي
عندي التنازع " (٢٤)، وكان هذا عين ما تمناه عمر وحزبه، لقد نجحوا في الحيلولة
بين النبي وكتابة ما يريد، وتحققت الغاية من اقتحامهم لبيت رسول الله، ولم
يعد هناك ما يوجب البقاء.

٢ - ولعله من المستحسن أن نقارن بين موقف عمر هذا من النبي، وبين موقفه من أبي بكر عندما أراد أن يكتب توجيهاته النهائية وهو مريض، فقد كان عمر جالسا مع الصفوة التي اختارها أبو بكر لتشهد كتابة وصيته وتوجيهاته، ومعه شديد مولى أبي بكر حاملا للصحيفة، فكان عمر يقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، إنه يقول: إني لم أكم نصحا (٢٥).

لم يقل عمر أن أبا بكر يهجر، ولم يختلف الحضور، ولم يكثّر اللغط، ولم تتدخل النساء، إن هذا يدعو للعجب، فهل لأبي بكر قيمة وقداسة عند عمر وحزبه أكثر من قيمة الرسول وقداسته؟!

وعندما طعن عمر واشتد به الوجد، وقال: لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هو المطلع، وقال لابنه: ضع خدي على الأرض لا أم لك (٢٦)، لم يمنعه ذلك من كتابة توجيهاته النهائية، فعهد بالخلافة لستة نظريا، ولعثمان بن عفان عمليا، ولم يعترضه أحد، ولم يتهم بأنه يهجر، ولم يقل أحد: حسبنا كتاب الله، وإنما عومل بكامل التوقير والاحترام، ونفذت تعليماته النهائية حرفيا، وكأنها كتاب منزل من عند الله.

لم يصدف طوال التاريخ أن عومل ولي الأمر سواء أكان خليفة أو ملكا وهو مريض بالقسوة والجلافة التي عومل بها رسول الله، ولم يصدف أن اعترض المسلمون

خليفة إذا أراد أن يستخلف من بعده، بل على العكس، فقد قال ابن خلدون: " إن الخليفة ينظر للناس حال حياته، وبتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم بعده " (٢٦)، فهل للخليفة وقار عند المسلمين أكثر من رسول الله؟ وهل

له مكانة أعظم من مكانة الرسول؟ إن هذا لأمر عجاب! إنهم قالوها بمنتهى الصراحة: إن الخليفة أعظم من الرسول (٢٧)!

* الفصل الرابع - تنفيذ الانقلاب.

١ - إن أنباء المواجهة التي جرت في حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله بين قائد الانقلاب

عمر بن الخطاب ومن والاه من جهة، وبين النبي ومن والاه من جهة أخرى، شقت طريقها

بكل تفاصيلها إلى أسماع أهل المدينة، وتؤكد الناس من وجود انقلاب على الشرعية الإلهية، له قيادة وقاعدة تدعمه، وأنه في طريقه للاستيلاء على السلطة بالقوة.

وقد قرر الانقلابيون أن يكون وقت تنفيذ الانقلاب في الفترة الزمنية

الواقعة بين وفاة النبي وبين دفنه، وهي فترة انشغال آل محمد وبني هاشم

بمصائبهم الجلل، إذ حضر آل محمد، وكان هنالك تكافؤ فرص، لتمكن الإمام علي من إقامة الحجّة على الانقلابيين، أما إذا سارع الانقلابيون بتنصيب خليفة،

يزفه أعوانه وأنصاره زفا، فإنهم سيفاجئون آل محمد بأمر واقع، فإذا

اعترضوا تمكن الانقلابيون من تصويرهم بصورة الخارجين على الجماعة، والشاقين لعصا الطاعة، وسلطوا عليهم أعوانهم لإخضاعهم بالقوة.

٢ - كانت الخطوة الأولى في عملية تنفيذ الانقلاب أن تحرك قسم من

الانقلابيين إلى منطقة الأنصار، ويتجمعون في سقيفة بني ساعدة، وكأنهم زوار

لسعد بن عباد الخزرجي الذي كان مريضاً وطريح الفراش، ومهمة هذا القسم أن

ينتظر قدوم قادة الانقلاب الرئيسيين الثلاثة، وأن يشتركوا بالحوار، وكأنهم

لا علم لهم بوجود انقلاب، حتى إذا نجح قادة الانقلاب في جر المجتمعين إلى

الخوض في حديث خليفة النبي، أمسكوا بالحديث وتابعوه حتى يتم تنصيب الخليفة

المتفق عليه وهو أبو بكر، عندئذ ينهض القسم الذي تجمع في سقيفة بني

ساعدة ويبيع أبا بكر خليفة للنبي، فيذهل الحاضرون من غير الانقلابيين،

ويجدون أن من الحكمة مبايعة الخليفة الجديد، ليحصلوا على المنافع فيما بعد، وهكذا كان.

كان القسم المكلف بالتحرك إلى منطقة الأنصار عبارة عن مجموعة من الأوس متفقة مع قادة الانقلاب، وكانت مهمة هذه المجموعة منحصرة بمبايعة الخليفة الجديد عند طرحه من قبل قادة الانقلاب الثلاثة.

ولم يكن في حضور الأوس لزيارة سعد بن عباد ما يثير الريبة، فإن عيادة المريض مرغوبة في الجاهلية والإسلام، ومن غير المستبعد أن الانقلابيين من الأوس قد تطرقوا إلى عصر ما بعد النبوة، ويجمع المؤرخون على أنهم قالوا لسعد بن عباد: (الأمر لك، فما كنت فاعلا فلن نعصي لك أمرا)، بمعنى أن سعد بن عباد يتولى توجيه الأنصار إلى ما يمكن عمله، وليس المقصود توليه سعد خليفة على المسلمين، ولأجل ذلك تقبل سعد كلام الأوس بحسن نية وارتياح، لقد كانت الخزرج خالية الذهن تماما من موضوع الانقلاب، ومن تورط أعداد كبيرة من الأوس فيه.

وفجأة حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، وكان حضور الأولين مستهجنا، لأنهما صهرا رسول الله، وقد جرت العادة أن ينشغل الأصهار مع أهل المتوفى بتجهيزه ودفنه، ولكن سعدا والخزرج تصوروا أن زيارة الثلاثة تعبير عن محبتهم لسعد بن عباد، ولفتة نبيلة منهم تجاه الخزرج.

ومن الطبيعي أن ينقطع الحديث بوصول الزوار الثلاثة، فمن الذي بدأ بمواصلة الحديث؟ وكيف تطور إلى حديث عن خلافة النبي؟ لا أحد يعلم ذلك على وجه اليقين، لكن المؤكد هو أن غاية الثلاثة من قدومهم كانت تنصيب الخليفة الجديد،

وأن قسما كبيرا من الأوس كان ضالعا في المؤامرة، ولم يكن تواجههم صدفة، بل هو ثمرة تخطيط وتدبير سابق، فأسيد بن حضير الذي قدمته وسائل إعلام الدولة بوصفه سيد الأوس، يشترك بعد يوم واحد من دفن الرسول في سرية يقودها

عمر بن الخطاب مهمتها إحراق بين فاطمة بنت محمد علي من فيه (٢٨)، وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين، فهل يعقل أن يكون هذا الاندفاع ثمرة صدفة في السقيفة، أم أنه فصل في كتاب المؤامرة؟

هناك إجماع على أن أبا بكر قد تكلم فقال: " إن المهاجرين هم أول من عبد الله في الأرض، وأنهم عشيرة الرسول، وأنهم الأمراء، والأنصار هم الوزراء " (٢٩).

وهناك إجماع أيضا على أن عمر قد تكلم فقال: " إن المهاجرين هم أولياء الرسول وعشيرته، والأحق بالأمر من بعده، وأن العرب تأتي أن تؤمر الأنصار ونبينا من غيرهم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته " .

ويجمع المؤرخون على أن أبا عبيدة قد قال: " يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وأزر، فلا تكونوا أو من بدل وغير " (٣٠) وهنا ملاحظتان لا بد من الإشارة إليهما:

الأولى - أن المهاجرين الثلاثة قد احتجوا بأنهم أولياء الرسول وعشيرته، ليحصلوا بذلك على بيعة الأنصار، فهل كانوا حقيقة عشيرة الرسول والأولى بسلطانه وميراثه؟ الواقع يكذب ذلك، فكل واحد من هؤلاء الثلاثة كان من بطن مستقل عن الآخر، ومحمد من البطن الهاشمي المستقل عن هذه البطون والتميز عليها. الثانية - أن هؤلاء الثلاثة صوروا الأنصار وكأنهم يريدون أن يكون الخليفة منهم، وهذا غير صحيح، إذ لم يفكر الأنصار بذلك، وسعد بن عباد أنبل وأجل من أن يقبل الخلافة مع وجود علي، لأنه كان من شيعة علي، وكذلك ابنه قيس، والمقداد، والحباب بن المنذر، وهؤلاء هم الذين قادوا جبهة الأنصار في السقيفة، ويروي المؤرخون أن الأنصار قالت: لا نباع إلا علي بن أبي طالب (٣١).

وكان بشير بن سعد الخزرجي رجلا مغمورا، ويبدو أن الانقلابيين قد أقنعوه بشكل أو آخر بالانضمام إليهم، وكان بشير هذا يكره الإمام عليا، وأورث هذا الكره لابنه النعمان - فقد كان ثاني اثنين من الأنصار يقفان فيما بعد في صف معاوية ضد علي (٣٢) - فلما رأى حالة الاختلاف، وأن مفاتيح الأمور مع سعد بن عبادة ورجاله، حسد سعدا، ورأى أن الفرصة سانحة ليتحول من رجل مغمور إلى بطل، فوقف قائلا: " إن محمدا من قريش وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ".
وعندئذ قال أبو بكر، هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا، فقال الاثنان: والله لا نتولى هذا الأمر عليك، وفي هذه الأثناء قفز بشير بن سعد وبايع أبا بكر، فكان أو من بايع، وأعقبه أسيد بن حضير، وعويم بن سادة، وأبو عبيدة، وكل المتواجدين من الأنصار، وذهل الفريق الآخر، وتصوروا أن بيعة هؤلاء كانت عفوية، ولم يعلموا أن الأمر قد دبر مسبقا بإحكام بالغ.

٣ - كان الانقلابيون قد استقدموا أعدادا كبيرة من المرتزقة من الأعراب، واتفقوا معهم على أن يتواجدوا في وقت محدد قرب بيت سعد بن عبادة، فجاءت قبيلة أسلم في الوقت الذي حضر فيه بعض الانقلابيين لمبايعة أبي بكر، تقول المصادر: " إن أسلم قبيلة كبيرة أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر " (٣٣).
وعلق عمر على هذه الواقعة فيما بعد قائلا: " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر "، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف علم عمر أن القبيلة القادمة من خارج المدينة ستبايع أبا بكر؟ إنه لا يعلم الغيب قطعا، فمن المؤكد أنه

كان قد نسق معهم واستقدمهم لهذه الغاية، فمثل عمر المخطط البارع لا يبنى انقلابه على الصدف.

وقول عمر: (فأيقنت بالنصر)، يكشف عن أنه بالرغم من بيعة الانقلابيين لأبي بكر في السقيفة، لم يكن عمر يتصور أن هذه البيعة ستحقق أهدافها بالانتصار على آل محمد، وسلب حقهم الثابت بالقيادة بعد النبي، وإنما تيقن ذلك عندما رأى جموع القبائل والمرزقة يتجهون نحو السقيفة لمبايعة الخليفة الجديد. تحرك موكب أبي بكر يحيط به جمع من الانقلابيين والأنصار وهم يرفونه إلى المسجد حيث يسجى الجثمان المقدس لرسول الله وهو محاط بالآل الكرام، " وكان عمر محتجرا يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر " (٣٤).

وكانت الخطة تقتضي أن يمكث قسم كبير من الانقلابيين في المسجد، يراقبون تحركات آل محمد، وينتظرون اللحظة التي يصل فيها الخليفة الجديد، لكي يبائعوه بعفوية، وكأنهم لا علم لهم بوجود الانقلاب، ولا يتحركون ضمن مخطط مرسوم، فما أن وصل الموكب إلى المسجد حتى على التكبير، وأخذوا يتقدمون لمبايعة أبي بكر حسب الخطة (٣٥).

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على الهاشميين وقال: يا معشر بني هاشم، بويع أبو بكر، فقال بعض الهاشميين لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد. ودخلت الجموع إلى المسجد يتقدمها الخليفة الجديد، فقال عمر لأبي بكر: اصعد منبر رسول الله، فتردد أبو بكر، فلم يزل به عمر حتى صعد، فبايعه الحاضرون من جديد.

وألقى أبو بكر خطبة جاء فيها: " أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " (٣٦).

وهكذا تم الانقلاب، وتم عزل آل محمد كما خطط الانقلابيون، وتمت مواجهة آل محمد بأمر واقع (٣٧).

* - الفصل الخامس - مواجهة الانقلابيين لصاحب الحق الشرعي .

١ - توقع الانقلابيون من صاحب الحق الشرعي ومن آل محمد أن يبادروا علي الفور بالاعتراف بالأمر الواقع، ويبايعوا الخليفة الجديد، لكن ما توقعه الانقلابيون لم يحدث، فلم يتقدم علي بن أبي طالب ولا أحد من بني هاشم للمبايعة (٣٨)، وامتنع من البيعة عدد من الصحابة واعتصموا في بيت علي (بيت فاطمة بنت رسول الله) ومنهم: سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعز علي عمر بن الخطاب ذلك، وقال بعدئذ: " كان من خبرنا حين توفي نبينا أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة " (٣٩) تأثر أبو بكر من فعلة علي وآل محمد، فأرسل إليه عمر بن الخطاب وقال له: " إئتني به بأعنف العنف ". وجرى حوار بين علي وعمر، فقال علي: " والله ما حرصك علي إمارته اليوم، إلا ليؤثرك غدا " (٤٠)، أو قال له: " أحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره، يردده عليك غدا " (٤١)، وانتهت المناقشة دون نتيجة، ولم يجرؤ عمر علي الاصطدام بعلي دون قوة تحميه، فخرج ليعود مع مجموعة مسلحة من جيش الخليفة الجديد.

كانت القوة التي جاء بها عمر مؤلفة من: أسيد بن حضير، و عبد الرحمن بن عوف، وزياذ بن لبيد، وزيد بن ثابت، وسلمة بن أسلم، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وسلمة بن سالم، وغيرهم (٤٢)، وكانت مهمتهم إخراج علي ومن معه بالقوة

لكي يبايعوا أبا بكر، أو " ليدخلوا في ما دخلت فيه الأمة " (٤٣) علي حد تعبير عمر، وقد قال أبو بكر لقائد السرية عمر: " وإن أبوا فقاتلهم " (٤٤).

صمم عمر علي حرق بيت فاطمة علي من فيه إذا لم يخرجوا للمبايعة، وأقبل يحمل قبسا من النار، فلقيته فاطمة قائلة: " يا ابن الخطاب أترأك محرقا علي

بابي؟ فقال عمر: نعم (٤٥).
واقترح المهاجمون الدار، وكسروا سيف علي، وأخرجوه بالقوة للمبايعة (٤٦)،
ولكن عليا تمكن من إحراج السلطة الجديدة أمام قاعدتها، إذ قال لأبي بكر: " أنا أحق
بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار
احتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة، وأنا
أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله،
واعرفوا لنا من الأمر مثلما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون ".
وكان مما قال علي أيضا: " يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحق
بهذا الأمر منكم ما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه بدين الله، العالم بالسنة،
المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا " (٤٧)
وعندئذ عدل عمر بن الخطاب عن لغة المحاججة والحوار إلى لغة القمع
والقوة، فقال لعلي: إنك لست متروكا حتى تبايع، فقال علي: إن لم أبايع فمه؟
فقال عمر: والله الذي لا إله إلا هو لنضربن عنقك. فقال علي: إذن تقتلون
عبد الله وأخا رسوله، فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا (٤٨).
فعمر لا يعترف بأخوة علي لرسول الله، وهذه منه مكابرة وإنكار للواضحات.
وقد انصرف علي بعد هذه المحاججة إلى منزله دون أن يبايع أبا بكر، ولا يبايعه أحد
من الهاشميين حتى يبايع علي بعد ستة أشهر (٤٩)، وكان ممن تخلف عن البيعة مضافا
إلى من ذكرناهم سابقا كل من: فروة بن عمر وهو ممن جاهد مع رسول الله (٥٠)،
ونخالد
بن سعيد الأموي، وكان قد أسلم قبل إسلام أبي بكر (٥١)، وبقي ممتنعا من البيعة
حتى
بايع الإمام علي والهاشميون (٥٢)، وسعد بن عباد، فلم يبايع أبا بكر ولا عمر، حتى
رماه
محمد بن سلمة بسهم فقتله بأمر من عمر بن الخطاب (٥٣).

٢ - حاول علي أن يجمع أنصارا ليقف بوجه الانقلاب، فكان يذهب مع فاطمة ليلا إلى بيوت الأنصار ويسألان النصره، فكان الأنصار يجيبون: " يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول علي: " أفكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه "؟ وتقول فاطمة: " ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه " (٥٤).

والعجيب أن يحتج الأنصار لعدم نصرتهم لعلي وحمايتهم لأولاده ببيعتهم لأبي بكر، مع أنهم كانوا قد بايعوا رسول الله قبل بيعتهم لأبي بكر على أن يحموه ويحموا ذريته كما يحمون ذراريهم، ولأجل ذلك قال الإمام الصادق فيما بعد: " فوالله ما وفوا له حتى خرج من بين أظهرهم، ثم لا أحد يمنع يد لامس، اللهم فاشدد وطأتك على الأنصار " (٥٥).

واجتمع جماعة إلى الإمام علي يدعونه للبيعة، فقال لهم: " أغدوا علي محلقين رؤوسكم، فلم يغد عليه إلا ثلاثة " (٥٦).

لقد استقطب الانقلابيون الجميع رغبة أو رهبة، فلقد ضم تحالفهم بطون قريش كلها مهاجرها وطيئها، والمنافقين كلهم بلا استثناء، والمرتزة من الأعراب، وتورط معهم قسم من الأنصار طمعا بالمغانم وهروبا من المغارم، ثم التحق بهم

بقية الأنصار بعد أن هالتهم قوة التحالف، واكتشفوا أنهم أصبحوا أقلية. لقد هدد علي بالقتل أمام المهاجرين والأنصار، ولم يحركوا ساكنا، وهدد الانقلابيون أهل بيت النبوة بأن يحرقوا عليهم البيت ليموتوا حرقا إن لم يبايعوا، بعد يوم واحد من وفاة النبي صلى الله عليه وآله والد فاطمة وابن عم علي وجد الحسن والحسين، ومع ذلك لم يستنكر أحد من المهاجرين والأنصار هذا العمل الإجرامي.

ولقد مد الانقلابيون نفوذهم حتى داخل بيت الرسول، فكانت عائشة معهم، يدفعها لذلك حبها لأبيها ولقومها بطون قريش، وحقدتها على علي قاتل أبناء عمومتها، حتى أنها سربت رواية أسندتها إلى رسول الله وأنه أخبرها عن علي بأنه " يموت على غير ديني "، ورواية أخرى ادعت فيها أن رسول الله قال لها، من أراد أن ينظر إلى رجلين من أهل النار فلينظر إلى هذين، فنظرت عائشة، فإذا بعلي والعباس قد أقبلًا " (٥٧).

ولعلها وضعت هاتين الروايتين عندما بلغها أن عمر بن الخطاب هدد عليا بالقتل، فكأنها تقول لعمر، نفذ تهديدك، ولا تخش غضب الله، فإن رسوله أخبرها بأن عليا يموت على غير دين الإسلام.

كل ما تقدم يكشف عن أن الإمام علي وجد نفسه وليس معه أحد إلا أهل البيت وبني هاشم، وقدر أن المواجهة مع الذين غصبوه حقه في مثل تلك الظروف انتحار حقيقي، وإبادة له بوصفه مستودع علم النبوة، ولأهل بيته وهم شجرة النبوة والثقل الأصغر، لذلك قرر أن يقعد في بيته، وأن يحتج على الانقلابيين احتجاجا لا يفرق المسلمين، ولا يوهن الدين، فاعتزل في بيته، وصمم على أن يبدأ بتكوين قاعدة شعبية تفهم الإسلام على حقيقته، كما أنزله الله وبينه رسوله، لكي تتصدى لكشف الأعياب الطامعين وتحريفاتهم.

٣ - لم يكن أهل البيت آنئذ في حالة يشكلون معها خطرا على دولة الانقلابيين، ولكن عمر كان مصمما على تحطيم آل محمد من جميع الوجوه، لكي لا يطمع

طامع منهم بالسلطة، فيأخذ الخلافة، ويجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا، فيحدث الاجحاف بحق البطون، ومن جهة أخرى فإن عمر كان يريد أن يزين ملك التحالف ببيعة

آل محمد، ولأجل ذلك قرر أن يستصدر من الخليفة سلسلة من القرارات الاقتصادية

يضطهد بها آل محمد ويضطهرهم إلى الركون، بعد أن عجز حصار المشركين في مكة عن

تركيع البيت الهاشمي، بسبب ضعف تخطيط المشركين آنذاك وسوء تدبيرهم. ويمكن تلخيص هذه القرارات في ما يلي:

أولا - حرمان أهل بيت النبوة من إرث النبي صلى الله عليه وآله، واحتجوا لذلك بأن الرسول قال لأبي بكر، نحن الأنبياء لا نورث (٥٨)، وقد احتج الإمام علي على أبي بكر بقول الله تعالى: " وورث سليمان داود " (٥٩)، وقوله تعالى: " يرثني ويرث من آل يعقوب: (٦٠)، فكيف يتم التوفيق بين دعوى أبي بكر من أن الأنبياء لا يورثون، وبين هاتين الآيتين؟ وقال علي: هذا كتاب الله ينطق، فسكت أبو بكر وانصرف مصرا على ادعائه.

وأما فاطمة فلم تكتف بذلك، وإنما بسطت الخصومة بينها وبين أبي بكر علنا أمام المهاجرين والأنصار، وأقامت الحجة على أبي بكر بخطبة رائعة جاء فيها:

" وزعمتم أن لا حق ولا إرث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بأية أخرج منها بنيه؟ أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثون! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي، أفحكم الجاهلية تبغون! " (٦١). فأصر أبو بكر على رأيه، وادعى أن وراث محمد هو الذي يقوم مقامه (٦٢)،

وبما أن أبا بكر قد أصبح خليفة النبي، فيكون هو الوارث الوحيد لرسول الله. ثانيا - قرار حرمان أهل بيت النبوة من المنح التي أعطاهم الرسول إياها، ومصادرة تلك المنح، وكانت فاطمة بنت رسول الله أول من طالها هذا القرار فصودرت منحتها، وقد قالت لأبي بكر: أعطني فذك، فقد جعلها رسول الله لي، فسألها البينة، فشهدت لها أم أيمن زوج الرسول، ورباح مولى الرسول، فقال أبو بكر: لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين (٦٣)، وعلى الرغم من

أن عليا شهد لها أيضا، إلا أن الخليفة قرر، ولا راد لقراره!
والعجيب أن أبا بكر ترك كافة المنح التي أعطاها رسول الله لكثير من
الناس، واستولى فقط على المنح التي أعطاها النبي لأهل البيت، وأنه لم يسأل
الناس بيعة، ولكنه سأل فاطمة عن البيعة!

ثالثا - قرار حرمان أهل بيت النبوة من حقهم في الخمس الوارد
في القرآن الكريم، وقد طالبت فاطمة بهذا الحق، وقالت لأبي بكر: " لقد
حرمتنا أهل البيت، فأعطنا سهم ذوي القربى، وقرأت الآية: " واعلموا أن
ما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذوي القربى... " (٦٤)، فقال لها
أبو بكر: سمعت رسول الله يقول، سهم ذوي القربى للقربى حال حياتي
وليس لهم بعد موتي (٦٥).

تركت هذه القرارات أثرها المؤلم على آل محمد، وتذكرت القلة المخلصة
من المهاجرين حصار بطون قريش ومقاطعتهم لبني هاشم في شعاب أبي طالب،
وأن بطون قريش قصرت الحصار يومها على البيع والشراء والنكاح، وتمنت القلة
المخلصة لو طبق هذا الحصار ثانية على أهل البيت، إذن لكان أخف وطأة وأسهل
تحملا على أهل بيت النبوة، من هذه القرارات الاقتصادية الجائرة.
لقد حرم آل النبي من الإرث ومما منحهم رسول الله ومن حصتهم في الخمس،
فإذا علمنا أن أموال الصدقة محرمة عليهم (٦٦)، فممن يأكل أهل البيت، وكيف
يعيشون؟

قال أبو بكر لفاطمة مجيبا عن هذا السؤال: " إني أعول من كان رسول
الله يعول، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه " (٦٧).
فالحاكم يقدم لآل بيت محمد المأكل ولا يزيدون عليه، ويجب على آل البيت
طوال التاريخ أن يمدوا أيديهم للحاكم من أجل الطعام، ومن حسن الخلف أن يطيع
الإنسان

من يطعمه، تلك هي سنة أبي بكر وعمر! وهذا هو عدلهم ومودتهم للقريب، وهذا هو برهم ووفائهم لمحمد بن عبد الله! ويبدو أن أبا بكر قد تنبه في لحظة من لحظات استيقاظ الضمير إلى شناعة ما ارتكبه بحق آل محمد، فاعتراه الندم، ولكن بعد فوات الأوان. لقد تذكر فاطمة تنادي بأعلي صوتها: "يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة: (٦٨)، واستعاد ما قالته فاطمة شخصيا له ولعمر بن الخطاب وجها لوجه: "أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم. فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني: ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم، سمعناه من رسول الله، فقالت الزهراء: فإني أشهد الله أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه... أنتحب أبو بكر حتى كادت نفسه أن تزهب، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها (٦٩). واستحضر تهديد عمر بن الخطاب لعلي بالقتل، وكيف التحق علي بقبر النبي يبكي ويصيح: "يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني" (٧٠). تذكر أبو بكر كل ذلك وندم، وأدرك أنه أول ضحايا هذا النظام الجديد الذي أقامه عمر، وخرج إلى الناس قائلا: "بييت كل واحد منكم معانقا حليلته، مسرورا في أهله، وتركتموني وما أنا فيه، أقيلوني بيعتي" (٧١). ربما كان الرجل صادقا بالفعل، ولكنه كان قد قطع على نفسه خط الرجعة، ولم يسمح له قادة الانقلاب وبالذات عمر بالإفلات، كان لا بد له من البقاء ومواصلة الشوط، فهذه مرحلة انتقالية يجب أن يحل وزرها وهو مشرف على الموت، وبموته يرثون دولة مستقرة.

* هوامش الباب الرابع.

- ١ - تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٢.
- ٢ - الإمامة والسياسة ١ / ٨، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٨، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦٦.
- ٣ - الرياض النضرة للطبري ٢ / ٢١٠، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٤٢، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١ / ٣٦.
- ٤ - الكامل في التاريخ ٣ / ٢٤، تاريخ بغداد ٢ / ٩٧، شرح نهج البلاغة بتحقيق محمد أبو الفضل ١٢ / ٥٣ - ٥٤.
- ٥ - الإمامة والسياسة ١ / ٦.
- ٦ - تاريخ الطبري ٢ / ١٩٨، طبقات ابن سعد ٢ / ١٢٨، مسند أحمد ١ / ٤٠٥، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٩٨.
- ٧ - الإمامة والسياسة ١ / ١٥.
- ٨ - صحيح البخاري ٧ / ٩، صحيح مسلم ٥ / ٧٥، مسند أحمد ٤ / ٢٥٦.
- ٩ - شرح نهج البلاغة ٣ / ١٠٥.
- ١٠ - مغازي الواقدي /.
- ١١ - التحريم - من الآية ٤.
- ١٢ - ٣ / ١٣٦ - ١٣٧.
- ١٣ - تفسير الكشاف للزمخشري ٤ / ٥٦٦، تفسير الرازي ٨ / ٣٣٢، الدر المنثور للسيوطي ٦ / ٢٣٩، تفسير القرطبي ١٨ / ١٧٧، تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٧، فتح القدير للشوكاني ٥ / ٢٥٠.
- ١٤ - تفسير القرطبي ١٨ / ٢٠٢، فتح القدير ٥ / ٢٥٥.
- ١٥ - إحياء علوم الدين للغزالي ٢ / ٣٥.

- ١٦ - صحيح البخاري ٤ / ١٠٠ مطابع الشعب.
- ١٧ - صحيح مسلم ٢ / ٥٦٠، ١٨ / ٣١ - ٣٣ بشرح النووي.
- ١٨ - الطبقات لابن سعد ٢ / ٢٩ طبعة لندن، صحيح البخاري ٥ / ١٣٩ - ١٤٠ (لكن البخاري حذف جملة (لا تطيب لها نفسا بخير)، السيرة الحلبية ٣ / ٣٣٤).
- ١٩ - مسند أحمد بن حنبل ٦ / ١١٣.
- ٢٠ - تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٢، شرح نهج البلاغة ٦ / ٢١٥،
تذكرة الخواص ص ٦١ - ٦٤، تاريخ الطبري ٤ / ٤٠٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٦.
- ٢١ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٤٣، الحمل للشيخ المفيد ص ٨٣ - ٨٤.
- ٢٢ - الإمامة والسياسة ١ / ٢٢.
- ٢٣ - تذكره الخواص لسبط بن الجوزي ص ٦٢، سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي ص ٢١.
- ٢٤ - صحيح البخاري ٧ / ٩، صحيح مسلم ٥ / ٧٥، مسند أحمد ٤ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢، تذكرة الخواص ص ٦٢، سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص ٢١.
- ٢٥ - تاريخ الطبري ١ / ٢١٣٨ طبعة أوربا.
- ٢٦ - مقدمة ابن خلدون ص ١٧٧.
- ٢٧ - تاريخ ابن كثير ١٠ / ٧، سنن أبي داود ٤ / ٢١٠، مروج الذهب ٣ / ١٤٧، العقد الفريد ٥ / ٥٢، تاريخ الطبري ٥ / ٦١.
- ٢٨ - تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، شرح النهج ١ / ١٢٠، ٢ / ١٩.
- ٢٩ - الإمامة والسياسة ١ / ٨، تاريخ الطبري ٣ / ١٩٨، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٢٦.
- ٣٠ - تاريخ الطبري / حوادث سنة ١١ هـ، الإمامة والسياسة ١ / ٨، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢٥.

- ٣١ - تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٨، الكامل في التاريخ ٢ / ١٢٣.
- ٣٢ - شرح نهج البلاغة /.
- ٣٣ - تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨، تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٢٤، شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٨٧.
- ٣٤ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٣.
- ٣٥ - الموفقيات ص ٥٧٨، الرياض النضرة ١ / ١٦٤، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨.
- ٣٦ - طبقات ابن سعد ٢ / ٧٨ طبعة لندن.
- ٣٧ - تاريخ الطبري ٢ / ٢٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٠، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٦، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢، ١ / ١٢٣، ٦ / ٢٨٧، الموفقيات لابن بكار ص ٥٧٨، الرياض النضرة للطبري ١ / ١٩٤، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٢٣٤، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٤٨، السيرة الحلبية ٢ / ٣٩٧، صحيح البخاري ٤ / ١٦٥، كنز العمال ٣ / ١٢٩.
- ٣٨ - الإمامة والسياسة ١ / ١١.
- ٣٩ - مسند أحمد ١ / ٥٥، تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٦، الكامل في التاريخ ٢ / ١٢٤، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٤٦، شرح نهج البلاغة ١ / ١٢٣، تاريخ السيوطي ص ١٤٥، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٢٨، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦، تيسير الوصول لابن الربيع ٢ / ٤١، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ص ٧١٢.
- ٤٠ - أنساب الأشراف للبلاذري ١ / ٥٨٧.
- ٤١ - الإمامة والسياسة ص ١١ - ١٢.
- ٤٢ - تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢، شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٠.
- ٤٣ - العقد الفريد ٢ / ٦٤، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦.

- ٤٤ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٤، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ١١ / ١١٢ .
- ٤٥ - أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، كنز العمال ٣ / ١٤٠، الرياض النضرة ١ / ١٦٧، شرح النهج ١ / ١٣٢، تاريخ الخميس ١ / ١٧٨، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل في التاريخ ١١ / ١١٣ .
- ٤٦ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥ .
- ٤٧ - الإمامة والسياسة ١ / ١١ - ١٢ .
- ٤٨ - أعلام النساء ٣ / ١٢٠٦، الإمامة والسياسة ١ / ١٢، شرح النهج ٢ / ٨ .
- ٤٩ - تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، صحيح البخاري ٣ / ٣٨، شرح نهج البلاغة ١ / ١٢٢ .
- مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٤١٤، الإمامة والسياسة ص ١٤، أنساب الأشراف ٦ / ٥٨٦ .
- ٥٠ - الموفقيات ص ٥٩٠ .
- ٥١ - المعارف لابن قتيبة ص ١٢٨، شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٥ .
- ٥٢ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٥، أسد الغابة ٢ / ٨٢ .
- ٥٣ - أنساب الأشراف ١ / ٥٨٩ .
- ٥٤ - الإمامة والسياسة ١ / ١٢، شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٨ .
- ٥٥ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٢١٩ .
- ٥٦ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥ .
- ٥٧ - شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٤ .
- ٥٨ - مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٠، سنن الترمذي ٧ / ١٠٩، طبقات ابن سعد ٥ / ٧٧، الكامل في التاريخ ٥ / ٢٨٦ .
- ٥٩ - النمل - من الآية ١٦ .
- ٦٠ - مريم - من الآية ٦ .

- ٦١ - بلاغات النساء ص ١٦ .
- ٦٢ - مسند أحمد ١ / ٤ ، سنن أبي داود ٢ / ٥٠ ، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٨٩ ،
تاريخ الذهبي ١ / ٣٤٦ ، شرح نهج البلاغة ٤ / ٨١ .
- ٦٣ - فتوح البلدان ٢ / ٣٤ .
- ٦٤ - الأنفال - من الآية ٤١ .
- ٦٥ - كنز العمال ٥ / ٣٦٧ ، تاريخ الإسلام للذهبي ١ / ٣٤٧ ، شرح نهج البلاغة ٤ /
٨١ .
- ٦٦ - صحيح البخاري ١ / ١٨١ ، صحيح مسلم ٣ / ١١٧ ، سنن أبي داود ١ /
٢١٢ .
- ٦٧ - صحيح البخاري ٢ / ٢٠٠ ، سنن أبي داود ٣ / ٤٩ ، سنن النسائي ٢ / ١٧٩ ،
سنن الترمذي ٧ / ١١١ ، مسند أحمد ١ / ٦ .
- ٦٨ - الإمامة والسياسة ١ / ١٢ .
- ٦٩ - الإمامة والسياسة ١ / ١٢ .
- ٧٠ - الإمامة والسياسة ١ / ١٤ .
- ٧١ - الإمامة والسياسة ١ / ١٢ .

الباب الخامس
التخطيط لعزل أهل البيت والمواجهة الدائمة لهم

* الفصل الأول - تجذير المواجهة إلى يوم الدين.

١ - تيقن عمر بأنه قد استطاع أن يحطم عليا وأهل البيت، وأن يعزلهم عزلا كاملا عن الناس، وأن يحطم الشرعية الإلهية التي أعطت عليا القيادة من بعد النبي، وأن البيان النبوي المتعلق بالقيادة وبالموقع المميز لأهل البيت قد الغي عمليا، وأن قريشا ومن والاهما من العرب تقف من علي وبني هاشم، نفس الوقفة التي وقفتها من رسول الله ومن بني هاشم في شعب أبي طالب، وأن الهاشميين قد حوصروا وقوطعوا. ولكن عمر لم يكتف بهذا، فلدى الهاشميين القدرة على الخروج من بين الأنقاض والبناء

من جديد، لذلك أراد عمر أن يجذر المواجهة بين أهل بيت النبوة وبين المسلمين ويرسي قواعدها بحيث تصبح ناموسا من من نواميس الحياة، وبنحو يجعل أهل البيت دائما هم الطرف الخاسر في هذه المواجهة، ويخرجهم عن موقع القيادة إلى الأبد ولتحقيق هذا الهدف وضع مبدأ إبعاد الهاشميين عن مراكز الدولة وعن الوظائف العامة، حتى لا يستغل الهاشميون مناصبهم ويحاولوا الاستيلاء على الخلافة، ولقد امتنع عمر عن تولية عبد الله بن عباس علي حمص، وعلل ذلك بقوله: "إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني الموت) وأنت في عمرك فتقول: هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم" (١)، وتطبيقا لهذا المبدأ قال عبد الرحمن بن عوف لعلي بعد موت عمر: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، وأن لا تولي أحدا من بني هاشم، فقال علي: حيث وجدت القوة والأمانة (٢).

ومن أجل توحيد الناس ضد بني هاشم عدلت نظرية أن الخلافة لبطن قريش فيما بعد ورأى قادة التحالف أنه لا بأس بأن يتولى الأنصار الخلافة، فقال عمر لو كان معاذ بن جبل حيا لوليته، ومعاذ هذا من الأنصار الذين لم يكن من الجائز لهم برأي عمر أن يتولوا الخلافة، ولا بأس أيضا بتولي الموالي للخلافة، إذ قال عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا وليته واستخلفته، وسالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب (٣).

ولكي يجعل عمر بن الخطاب مصلحة للجميع في أن يقفوا بوجه أهل البيت، واستبعادهم عن الحياة السياسية، عين أبا بكر ليكون أول خليفة من خلفاء التحالف، وأبو بكر من بني تيم، ثم صار عمر بن الخطاب هو الخليفة الثاني، وهو من بني عدي، وعين عثمان بن عفان خليفة من بعده، وهو من بني أمية المشهورين بحقدهم على علي وعلى الهاشميين، وفتح شهية الأنصار للخلافة عندما صرح بأنه لو كان معاذ بن جبل حيا لوليته، وأطمع الموالي بالخلافة أيضا بتصريحه لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا وليته.

وعمل عمر على أن يحسم بسرعة خلافة مع أبي سفيان - الذي كان كما يبدو خارج اللعبة - فأعطاه ما بيده من الصدقات وفيها حقوق الفقراء والمساكين (٤)، وعين يزيد بن أبي سفيان قائدا لجيوش الشام، وعين أخاه معاوية نائبا له، فارتاحت نفس أبي سفيان، وشعر الأمويون أن لهم مصلحة ومشاركة في النظام، وأخذوا يتحينون الفرص للاستيلاء على السلطة كلها، إذ ليس من المعقول أن يكون الأمر في أذل حين من قريش على حد تعبير أبي سفيان (٥).
ثم عمد عمر إلى إغراق أصحاب الخطر بالعطايا والصلوات، بعد أن ألغى سنة رسول الله بالمساواة بين الناس في العطاء، فصار طلحة، والزبير و عبد الرحمن

بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وأبو سفيان، وغيرهم، ومن أصحاب الملايين، فطابت نفوسهم وشعروا بالفعل أنهم شركاء في النظام، وأن حالهم أفضل من حال قائد التحالف عمر الذي ألزم نفسه بنمط متواضع من مستوى المعيشة، وصار من مصلحة هؤلاء جميعا أن تكون القيادة والسلطة بيد التحالف، لا بيد أهل بيت النبوة.

٢ - ومن ناحية أخرى عمد عمر إلى تحقير شأن الإمام علي علنا، وتصغير منزلته الرفيعة، فعندما طعن عمر وأخذ يتلوى من الألم ومن سكرات الموت، تجاهل وجود الإمام علي تماما، وتمنى أن يكون أبو عبيدة أو سالم مولى أبي حذيفة أو خالد بن الوليد حيا لكي يستخلفه (٦).
إن تقديم أمثال هؤلاء على علي وهو ولي الله وإمام المتقين بالنص، والذي هو مع القرآن ومع الحق بالنص، إن تقديم هؤلاء تقليل من شأنه، وتصغير لعظيم منزلته، ولقد أدرك الإمام علي كل ذلك، فقال يوما متوجعا شاكيا: " اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي " (٧).
ولست أدري بأي ميزان يتقدم خالد بن الوليد الذي غير مجرى معركة أحد لصالح المشركين، على علي بن أبي طالب الذي قتل حملة رايات المشركين يوم أحد

وحمي النبي وأنقذ المسلمين من هزيمة ساحقة، بل كيف يتقدم عمر نفسه على علي، مع أن عمر هنأه بالإمارة يوم غدیر خم.
وإن من أخطر الأسافين التي دقها عمر هو تقديمه لخمسة ينافسون عليا على الخلافة، لقد كان الإمام علي هو مرشح العناية الإلهية لخلافة المسلمين، فاستولى أبو بكر على الخلافة بالصورة التي بينها، ثم عهد بها إلى عمر الذي ورث

دولة مستقرة وأمة مروضة ومطبعة، فلما أشرف عمر على الهلاك فاجأ الناس بقوله: إن الخليفة واحد من ستة: علي بن أبي طالب: وعثمان بن عفان: وعبد الرحمن بن عوف: وسعد بن أبي وقاص: وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وقال عمر: إن هؤلاء نفر توفي رسول الله وهو عنهم راض (٨).
وإذا كان المعيار في الترشيح للخلافة هو رضی رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه قد مات راضيا عن الحسن والحسين وسعد بن عباد وغيرهم، فلماذا لم يدخلهم عمر في قائمة المرشحين للخلافة؟ بل إن الرسول قد توفي ساخطا على عمر، وكيف لا يسخط عليه وقد قال له: أنت تهجر، ولا حاجة لنا بوصيتك، وكيف لا يكون ساخطا عليه وقد حال بينه وبين كتابة ما أراد؟ فإذا كان مسخوطا عليه فكيف تولى الخلافة إذن؟

لقد أخرج عمر للمسرح خمسة أشخاص دفعة واحدة ينافسون الإمام عليا على الخلافة، ورفع مستواهم إلى مستوى الإمام، وهبط بمنزلة الإمام على منزلتهم، وفي أي وقت يطالب فيه الإمام بالخلافة سيقفون بوجهه قائلين: نحن أولى بها منك، فما أنت إلا واحدا من ستة حسب ترتيبات أمير المؤمنين عمر، وأولادهم سينافسون أولاد علي، وبهذا نجح عمر في إقامة حالة من المواجهة الدائمة مع هؤلاء الخمسة.

وهناك نص يكشف عن رأي عمر بأولئك الخمسة الذين جعلهم أقرانا لعلي ومنافسين له، إذ قال لابن عباس: إن طلحة فيه زهو ونخوة، وابن عوف فيه ضعف، وسعد لا يقوم بقربة لو حملها، والزبير مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح، وعثمان لو ولي الخلافة حمل بني معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه (٩).

* الفصل الثاني - عمر يضع أساس الحكم الأموي ليقود المواجهة لأهل البيت.
 ١ - كان عمر يخطط لاستلام الأمويين للخلافة والسلطة، ليضمن بذلك وجود قوة حاكمة على أهل البيت، تتولى إدامة المواجهة لهم وعزلهم وحرمانهم من التصدي لأموار المسلمين، وقد اتخذ في سبيل تحقيق هذا الهدف إجراءات: أولهما تعيين عثمان خليفة من بعده، والثاني - ترك معاوية بن أبي سفيان واليا على الشام يجمع كيفما شاء، ويتصرف حسبما يشاء دون رقيب ولا حسيب، ليجعل منه مركز قوة مناوئة لأهل البيت إذا تسنى لهم استلام السلطة بشكل أو آخر. أما بالنسبة للإجراء الأول فإن الخطة معدة أساسا ليكون عثمان خليفة، وترديد الأمر بين ستة أشخاص مجرد خدعة، والدليل على ذلك أمران: أولهما - أن عمر بن الخطاب لما طعن قال له ابنه عبد الله: " لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلا... فقال عمر، والذي نفسي بيده لأردنها للذي دفعها إلي أول مرة " (١٠)، ويقصد به عثمان، فإنه هو الذي كلفه أبو بكر بكتابة عهده، وقال له: أكتب إنني قد وليت عليكم... ثم أغمي على أبي بكر من شدة الوجد، فأكمل عثمان العبارة من تلقاء نفسه، وكتب (عمر)، فلما أفاق أبو بكر وعلم بالأمر سر به، وقال لعثمان: لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها. وثانيهما - أن عمر رتب الأمور بنحو يكون حصول عثمان على الخلافة حتميا، إذ قال: " إن رضي ثلاثة منهم رجلا واحدا منهم، وثلاثة رجلا منهم... فكونوا مع الذين
 فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس " (١١)، وقد كان
 عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعثمان يشكلون فريقا واحدا، فسعد مع ابن عمه
 عبد الرحمن، و عبد الرحمن مع صهره عثمان، وكان طلحة غائبا، فبقي الفريق الثاني مكونا
 من شخصين هما علي والزبير فقط، وقد فهم الإمام علي نتيجة هذه اللعبة، فقال

للعباس فور انتهاء عمر من كلامه: " عدلت عنا "، فقال له العباس: وما علمك؟ فقال علي: قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلا، ورجلان رجلا، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون،

فيوليها عثمان، أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخرا معي لم ينفعاني، بله أني لا أرجو إلا أحدهما " (١٢).

ويلاحظ أن عبد الرحمن بن عوف إمعانا منه في التمويه بدأ بالإمام علي وعرض عليه الخلافة ولكن بعد أن وضع شرطا يقطع مسبقا بأن الإمام سيرفضه، وهو العمل بسيرة أبي بكر وعمر إلى جانب العمل بالكتاب والسنة، وقد حصل ما توقعه من رفض الإمام لهذا الشرط، فثنى بعرض الأمر على عثمان الذي رضي بذلك الشرط، فصار خليفة على المسلمين (١٣).

ثم إن الصلاحيات التي أعطيت لعبد الرحمن بن عوف تدل على أنه سيفعل ما فعل، لذلك قال علي لعبد الرحمن بعد أن ولي الخلافة لعثمان: " حبوته محاباة، ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، أما والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر عليك " (١٤).

وعندما أخذ الناس يبائعون عثمان، وتلكأ علي، أرادوها فرصة للقضاء عليه، إذ قال عبد الرحمن: " ومن نكث فإنما ينكث علي نفسه "، فرجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة " (١٥). أما بالنسبة للإجراء الثاني، فإنه كان إجراء احتياطيا، إذ ربما استطاع علي أن ينتصر على منافسيه الخمسة، أو ينتصر أبناؤه على أبنائهم، ولكنهم لن يستطيعوا الانتصار على الجناح الأموي المستحکم في الشام، المالك للقوة والمال والنفوذ،

الحاقد على أهل البيت، والمستعد لمواجهتهم منذ وقت طويل.

٢ - كان عمر علي يقين من أن عثمان بن عفان يحب أقاربه الأمويين حبا عظيما، وأنه إذا تولى الخلافة سيجمعهم حوله ويحملهم على رقاب الناس، وبالرغم من ذلك عينه عمليا خليفة من بعده، ولكنه جعل الأمر شورى من الناحية الشكلية، حتى يبرز منافسين جدد للإمام علي، فيكون عثمان هو الخليفة من بعده، يدعمه الأمويون الحاقدون على علي وبني هاشم، لأن عمر كان متيقنا أن البطن الأموي هو وحده القادر على قيادة المواجهة لآل بيت محمد، وإذ مات عثمان تكون شهية طلحة والزبير وابن عوف وابن أبي وقاص مفتوحة للخلافة، فينافسون عليا، ويدخلون في مواجهة لهم إما منفردين أو بالتعاون مع بني أمية، وبهذا يتحقق مخطط عمر الرامي إلى استبعاد علي وأهل البيت عامة عن قادة الأمة نهائيا.

وما إن تمت مراسم تنصيب عثمان خليفة، حتى بدأ يجمع حوله كل أولئك الذين قادوا المواجهة لرسول الله صلى الله عليه وآله من الأمويين فجعلهم ولاته وحكومته ومستشاريه، وأطلق يد الولاة في ولاياتهم، وأغدق على حكومته ومستشاريه العطايا التي تفوق حد التصور، حتى صاروا فئة متميزة وطبقة فوق الجميع.

وقد لا يكون علي عثمان حرج لو قرب بعض الذين عرفوا بعدائهم لرسول الله، ولكن الحرج يكمن في استقطابه لكل أعداء الرسول حوله ليكونوا أصفياءه ومستشاريه وحكومته، واتخاذهم بطانة له، وبتعبير أدق أنه جاء بالشجرة الملعونة وغرسها في دار الخلافة.

وكان رأس الشجرة الملعونة هو الحكم بن العاص عم عثمان، أشد الناس عداوة وإيذاء لرسول الله في الجاهلية، وهو طليق تلفظ بالشهادتين بعد الفتح وقدم المدينة، ولكنه لم يتوقف عن إيذاء النبي، فكان يتلصص على الرسول، ويمشي

خلفه مقلدا مشيته، فلعله رسول الله مرات عديدة، وأخبر الأمة بأن هذا الرجل هو والد الشجرة الملعونة، وقال: لا يساكنني ولا ولده، ونفاه إلى الطائف، فلما مات الرسول راجع عثمان كلا من أبي بكر وعمر بشأن إرجاع الحكم وولده، فلم يوافقا على ذلك (١٦).

ذكروا أن الحكم بن العاص استأذن يوما على رسول الله، فعرف الرسول صوته، فقال: إئذنوا له، لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم (١٧).

وقالت عائشة لمروان بن الحكم: إن رسول الله لعن أبك وأنت في صلبه (١٨)، وقالت له: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك العاص بن أمية أنكم الشجرة الملعونة في القرآن (١٩).

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من تسلط هذه الشجرة على أمور المسلمين، وأخبر أنه رأى في المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة، وفي لفظ آخر: رأيت في منامي كأن بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة، فما رؤي النبي مستجمعا ضاحكا (٢٠).

وفي تحذير آخر قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: " إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلا وتشريدا، وأن أشد قومنا بغضا لنا بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم " (٢١)، وقال لهم أيضا: " إذا بلغت بنو أمية أربعين، اتخذوا عباد الله خوولا، ومال الله نخلا، وكتاب الله دغلا " (٢٢)، وقال أيضا: " لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية " (٢٣).

لقد تناسى عثمان عداوة عمه الحكم بن العاص لرسول الله، وتناسى كل هذه التحذيرات، وتناسى أنه قد اشترط عليه أن يعمل بسنة النبي الذي طرد الحكم

وأبعده من المدينة، وأن يعمل بسيرة الشيخين الذين رفضا السماح بعودة الحكم إلى مدينة رسول الله، تناسى كل هذا، وسارع باستقدام عمه الحكم، فدخل المدينة بحالة مزرية يسوق تيسا له، ليخرج بعد ساعة من دخوله قصر الخليفة وعليه جبة من الخز والطيلسان (٢٤)!

وهذا جرد للعناصر الأموية الحاكمة على أهل البيت التي استعان بها عثمان وألف منها جهازه الإداري وسلطها على رقاب المسلمين:

١ - الحكم بن العاص، اللعين، طريد رسول الله وعدوه، عينه عثمان على جمع الصدقات، فبلغت ثلاثمئة ألف درهم، فأعطاه عثمان له كلها، وفيها حق الفقراء والمساكين، وهنا سار عثمان بسيرة الشيخين، إذ ترك أبو بكر بإيعاز من عمر لأبي سفيان ما بيده من الصدقات، ليضمن رضى أبي سفيان وتعاونه مع السلطة، مع أن فيها حق فقراء المسلمين (٢٥)، ولم يكتف عثمان بذلك، بل وضع الحكم بن العاص في قصره وأعطاه مئة ألف درهم (٢٦).

٢ - مروان بن الحكم، ابن عم عثمان، الذي لعنه رسول الله أيضا (٢٧)، وكان يلقب ب (خيطة باطل) (٢٨)، وكان مشهورا بحقه على أهل البيت، ومنع فيما بعد من دفن الإمام الحسن في حجرة الرسول (٢٩)، وحينما ولي المدينة كان يسب عليا

على المنبر كل جمعة (٣٠)، لقد عمد عثمان إلى تقريب مروان وزوجه من ابنته، وأعطاه دفعة واحدة خمس غنائم إفريقية (٣١).

٣ - الحارث بن الحكم، أخو مروان، قربه عثمان وزوجه ابنته عائشة، وأعطاه ثلاثمئة ألف درهم دفعة واحدة (٣٢).

٤ - سعيد بن العاص بن أمية، كان والده من المشهورين بإيذائهم للرسول صلى الله عليه وآله، وقد خرج لمحاربتة يوم بدر، فقتله الإمام علي على الشرك (٣٣)، وسعيد هو نفسه الذي

ذكره عمر بن الخطاب بأن عليا قتل أباه، وقد أعطى عثمان لسعيد مئة ألف درهم دفعة واحدة، وولاه على الكوفة (٣٤)، فنكل بالعلماء من أبناء الأمة.
٥ - الوليد بن عقبة بن معيط، وهو أخو عثمان لأمه، كان أبوه عقبة من أشد الناس إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله (٣٥)، قال ابن هشام: كان الحكم بن أبي العاص

وعقبة بن معيط يؤذون الرسول في بيته (٣٦)، وفي معركة بدر أسر عقبة فأمر الرسول بقتله صبرا (٣٧)، وهو الظالم المشار إليه بقوله تعالى: " يوم يعرض الظالم على يديه " (٣٨).

والوليد بن عقبة فاسق بنص القرآن الكريم (٣٩)، وهو الذي جاء بالنبأ ونزل فيه قوله تعالى: " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " (٤٠).

لقد أعطى عثمان للوليد أموالا وأرضاه وجعله واليا على الكوفة، فصلى بالناس صلاة الصبح وهو سكران، ثم التفت إليهم قائلاً: أزيدكم؟ (٤١) وهذه الحادثة من الشهرة بنحو لا يمكن إنكارها.

٦ - عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، زوجه عثمان ابنته، وأعطاه مئة ألف درهم، ولكل رجل من قومه ألف درهم دفعة واحدة (٤٢). ومن الطبيعي أن يكون الخليفة قد اصطفاه وضمه إلى حاشيته وأهل مشورته.

٧ - أبو سفيان، قائد جبهة الشرك ضد رسول الله، أدناه عثمان وجعله من أهل مشورته، وهو القائل لعثمان بعد أن آلت إليه الخلافة: " صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار " (٤٣).

٨ - عبد الله بن أبي سرح، وهو الذي افترى على الله الكذب بنص القرآن، وهو الذي قال: سأنزل مثلما أنزل الله (٤٤).

وكان رسول الله قد أباح دمه حتى لو تعلق بأستار الكعبة، لأنه أسلم ثم ارتد عن الإسلام، وافترى الكذب، وعند فتح مكة أحضره عثمان وطلب له الأمان.

من رسول الله، وسكت الرسول طويلا لعل المسلمين يقتلونه خلال مدة سكوته،
ولأن رسول الله لا يقول لا، فقد تركه لعثمان (٤٥).
والحاصل أن الخليفة عثمان أموي، والحكومة أموية، والحاشية والولادة
والمستشارون كلهم أمويون، وكل بيت من بيوت بني أمية وتره الهاشميون،
وخاصة علي بالذات، بمعنى أن البيت الأموي أصبح دولة مؤهلة لمواجهة جديدة
مع علي وأهل البيت، بعد أن أخذ الناس يتعرفون حكم الشرع بالقيادة وحق
أهل بيت النبوة الذي اغتصبه الخلفاء.
لقد أصبح الحكم حكما أمويا جاهليا ولكن بثوب الإسلام، وبمعنى أدق
صار حكما ملكيا ولكن بمصطلحات إسلامية خالية من المضمون.
وإذا أضفنا إلى هذه القوة، الخمسة الذين خصصهم عمر لمنافسة
علي وأهل البيت على الخلافة، والجناح الثاني للأمويين الذي استحكم في الشام
بقيادة معاوية، أدركنا حجم وخطورة المواجهة بين علي وأهل بيت النبوة
وبين مناوئهم.

* الفصل الثالث - مواجهة الإمام علي بعد مقتل عثمان.

١ - لم يطق المجتمع الإسلامي حكومة عثمان وبطانته، وما كانت تقوم به من الاستئثار بأموال المسلمين والاستهانة بأحكام الدين، فكانت نتيجة ذلك ثورتهم على عثمان التي انتهت بمقتله.

وبموت عثمان تحلل الناس من كل بيعة، وتهافت أهل المدينة والثوار على الإمام علي يطلبون يده للبيعة (٤٦)، وقالوا له: لقد قتل عثمان، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب للرسول، فقال لهم، لا تفعلوا، فإن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، ولما أصروا عليه قال: إذن في المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضی المسلمين، وصعد على المنبر، وكان أول من بايعه طلحة (٤٧).

قال قيس بن سعد بن عبادة مخاطباً النعمان بن بشير بن النعمان (أي ابن أول رجل من الأنصار بايع أبا بكر، والذي انفرد هو وجماعة من دون الأنصار ووقف مع معاوية فيما بعد): " أنظر يا نعمان بن بشير، هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مندرجاً، وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك، ولستم والله بدريين ولا عقبيين، ولا لكما سابقة في الإسلام " (٤٨).

وإذا كان أمثال هؤلاء مع الإمام علي، فلا شك في كونه خليفة للمسلمين من جميع الوجوه، وتجب طاعته حسب هذا الظاهر على الأقل.

٢ - سرعان ما تحركت الموجه الأولى من المواجهة التي أعدها عمر حال حياته، فما أن تمت البيعة لعلي حتى جن جنون طلحة والزبير، فاستئذنا بالذهاب إلى مكة بذريعة العمرة، والتقيا هناك مع عدوة الإمام علي اللدودة عائشة بنت أبي

بكر، ونسقا معها خطوات المواجهة للإمام علي وأهل بيت النبوة، وأما سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقد امتنعا عن البيعة، هذا هو موقف الأربعة الذين اختارهم عمر للشورى، خصيصا لمعارضة الإمام والحيلولة بينه وبين حقه بالإمامة. وانتهى المطاف بطلحة والزبير وعائشة إلى إعداد جيش والخروج على الإمام، وساروا إلى البصرة ليؤلبوا أهل العراق على الإمام تحت شعار المطالبة بدم عثمان، مع أن طلحة والزبير هما أول من عرض على قتله، وأن عائشة كانت أول من ذم عثمان وجرأ الناس عليه (٤٩)، مما يعني أن المطالبة بدم عثمان مجرد غطاء شرعي ظاهري للخروج على الإمام وللتعبير عن حقدهم المشترك عليه. التقى جيش الإمام علي بجيش عائشة ومن معها في البصرة، وانتهت المعركة التي عرفت بمعركة الجمل بانتصار علي وهزيمة حزب عائشة، ووقوعها أسيرة بيد الإمام، فدخل عليها أخوها محمد بن أبي بكر وقال لها: أما سمعت رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي، تقاتلينه بدم عثمان؟ ثم دخل عليها الإمام علي فسلم عليها وقال لها: يا صاحبة الهودج، قد أمرك الله أن تقعدي في بيتك، ثم خرجت تقاتلين، أترحلين؟ فقالت عائشة: أرحل، فخصص لها علي موكبا وأربعين حارسا، ولما وصلت إلى المدينة اكتشفت أن جميع حرسها نساء، فقالت: " جزى الله ابن أبي طالب الجنة " (٥٠).

أما طلحة فقد قتله شريكه في التحالف مروان بن الحكم، وأما الزبير فقد انسحب من القتال، وقتل في الطريق، وأما سعد وابن عوف، فقد هزما وإن أصرا على عدم المبايعة، وبهذا يكون الإمام علي قد تمكن من هزيمة الخمسة، الذين تشكلت منهم المواجهة الأولى للمواجهة.

٣ - وكان على الإمام علي أن يستعد لمواجهة جديدة مع الجبهة الثانية التي أعدها عمر بن الخطاب لمواجهته، متمثلة في الدولة الأموية في الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، الذي كان مع أبيه من أئمة الكفر (٥١)، وقد لعنهما رسول الله كليهما في أكثر من موضع (٥٢)، وقد تألق نجم معاوية عندما ولاه عمر علي الشام

كلها، وبقي واليا عليها طيلة عهد أبي بكر وعمر وعثمان، يتصرف كما يشاء دون حسيب ولا رقيب، وتمكن خلال هذه المدة من تشكيل ذهنية أهل الشام، فكانوا لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وكان فيهم بمثابة ملك، وحولهم بالمال والدهاء وقلب الحقائق إلى جيش يغضب لغضب معاوية ويرضى لرضاه.

رفض معاوية البيعة للإمام علي، ووضع شعار المطالبة بدم عثمان، وحدثت المواجهة العسكرية بينه وبين الإمام، وكاد الإمام أن ينتصر، ولكن في اللحظة الحاسمة رفع معاوية المصاحف على الرماح بمشورة عمرو بن العاص، وقال: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، ورأى المنافقون أنها فرصة العمر لتفويت الانتصار على الإمام، فثاروا من كل جانب، وأجبروا الإمام على وقف القتال، وبإيقافه نجا معاوية من هزيمة محققة، وقويت شوكة المنافقين في صفوف علي، وأخذوا يشبّطون عزائم الجيش، حتى انتهى الأمر بالتحكيم، فأجبروا الإمام على اختيار الأشعري المعروف بخذلانه للإمام، وتمكن عمرو بن العاص من خديعة الأشعري، وتوالت الانقسامات في جيش الإمام، ولم تنفع بلاغته ولا صادق نصحه في توحيدهم واستنهاض عزائمهم.

ولقد استخدم معاوية سلاحين:

أولهما - سلاح المال، وقد قال بهذا الشأن: " لأستميلن
بالمال ثقات علي، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته " (٥٣)،

ولقد استمال معاوية بما أغدقه من الأموال حتى ابن عم الإمام عبيد الله بن عباس. و ثانيهما - سلاح الارهاب، فقد اغتتم معاوية فرصة التفكك والاختلاف في جيش الإمام علي، فسير مجموعة من السرايا إلى الأقاليم الموالية للإمام علي وهي: عين التمر، هيت، الأنبار، المدائن، تيماء، واقصة، الجزيرة، وأمر جيوشه بقتل كل من يجدونه على طاعة علي، وبإهلاك الحرث والنسل، ونهب الأموال. ثم وجه بسر بن أرطاة بجيش سار إلى المدينة ومنها إلى مكة، ثم إلى اليمن، فأحدث من المجازر الجماعية ما أحدث، وقتل كل من كان في طاعة الإمام علي بمن في ذلك الأطفال الصغار، ومن جملة القتلى ابني والي اليمن عبيد الله بن عباس وكانا طفلين صغيرين، وإن ما فعلته جيوش معاوية هذه بالمسلمين لم يفعله أي غزاة في تاريخ العالم (٥٤).

فجع قلب الإمام لما فعلته عساكر معاوية، ودعا الناس إلى الجهاد، وقال: إنني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الجنة فليخرج، ووزع الرايات، ففقد راية للحسين، وأخرى لأبي أيوب الأنصاري، وثالثة لقيس بن سعد (٥٥). وبينما كان الإمام يستعد لمعاقبة معاوية، غدر به عبد الرحمن بن ملجم المرادي في صلاة الفجر صبيحة التاسع عشر من رمضان، فضربه وهو ساجد على رأسه بسيف مسموم، فسقط الإمام الذي لم يسقط قط، وانتقل إلى رحمة ربه بعد أن عالج الموت ثلاثة أيام، وعهد بالأمر من بعده لابنه الحسن، قائلاً: يا بني، أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال له: وأمرك

رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، فاقرأه من رسول الله ومني السلام.
ثم أشهد على تلك الوصية ابنيه: الحسين ومحمد، وجميع أولاده
ورؤساء شيعته وأقطابهم (٥٦).

* - الفصل الرابع - مواجهة أبناء الإمام علي.

١ - مواجهة الإمام الحسن.

بايع المسلمون الحسن في أجواء من الألم والحزن، وتحامل الإمام الحسن على نفسه ووقف خطيباً فقال: " لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته، فيكفنه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه... أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، ابن النبي، ابن الوصي، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعي الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إليها ويصعد من عندنا " (٥٧)

وما أن انتهت مراسم العزاء والبيعة، حتى أخذ الإمام يستعد للمواجهة المسلحة مع عدو الله معاوية، وسير إليه جيشاً قوامه اثنا عشر ألف فارس بقيادة عبيد الله بن عباس، فالتقى بجيش معاوية، ووقف كل منهما يتربص بالآخر، وخلال مدة التربص بعث معاوية جواسيسه ورسله إلى عبيد الله بن العباس، فأخذوا يغرونه بالمال، ويعرضون عليه الالتحاق بمعاوية، وأوهموه بأن الحسن يريد أن يسلم لمعاوية، وما هي إلا مسألة وقت، وأن من الخير لعبيد الله أن يقبض ما يريد وهو عزيز، قبل أن يضطر إلى التسليم دون مقابل، وما زالوا به حتى ترك قيادة جيش الحسن، والتحق بمعاوية ومعه أكثر من نصف الجيش (٥٨).

كانت خيانة عبيد الله بن عباس ضربة معنوية قاتلة لجيش الحسن ولأتباع الحسن، فإذا كان عبيد الله الهاشمي يخون إمامه مقابل رشوة تافهة، فما الذي يجبر العامة على الالتزام بولائها له، في ظروف يدل كل شئ فيها على أن معاوية وشيعته سيغلبون؟ لقد نبتت في أذهان أكثرية الجيش، فكرة تسليم الإمام الحسن لمعاوية

أو قتله وتسليم رأسه لمعاوية، مقابل غنيمة يغدقها عليهم معاوية.
أدرك الإمام الحسن كل ذلك، وأيقن أن مواصلة المواجهة المسلحة انتحار
مؤكد، وإبادة لما تبقى من المؤمنين الصادقين وهم قلة، وعبر عن ذلك بقوله:
" والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما، والله لئن أسالته
وأنا عزيز أحب إلي من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فتكون سبة علي بني هاشم "
(٥٩)

في هذه الأثناء فاض معاوية الإمام الحسن، وأرسل إليه ورقة بيضاء وقد
وقع معاوية في أسفلها، ليكتب الإمام الحسن شروط الصلح، فكتب الإمام الحسن
الشروط التالية:

أولا - أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه.
ثانيا - أن لا يعهد لأحد من بعده، بل يكون الأمر شورى بين المسلمين.
ثالثا - أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهمهم
وحجازهم.

رابعا - أن شيعة علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.
خامسا - أن لا ينبغي للحسن ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي
غائلة سرا ولا علانية، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق.
إلا أن معاوية لم يف بعهوده رغم توقيعه عليها، بل خطب الناس في الكوفة
وقال بصراحة: " كل شرط شرطته لكم فهو مردود، وكل وعد وعده أحدنا منكم فهو
تحت قدمي " (٦٠)، ثم توج جرائمه باغتيال الإمام الحسن، بأن دس له السم عن
طريق

زوجته جعده بنت الأشعث بعد أن بعث إليها بمئة ألف درهم ووعدتها بتزويجها
من ولده يزيد (٦١)، ليخلو له الجو ويتمكن من تتويج ابنه الفاسق السكير يزيد حاكما
على المسلمين.
وكان من وصايا معاوية ليزيد أنه إذا ثار أهل المدينة عليه، يرسل إليهم

جيشا بقيادة مسلم بن عقبة، وثار أهل المدينة بالفعل، فنفذ يزيد وصية معاوية، فكانت نتيجة ذلك واقعة الحرة الرهيبة عام ٦٣ هـ، التي سفكت فيها الدماء وهتكت الحرمات واستبيحت مدينة الرسول، حتى ولدت الأبيكار لا يعرف من أولدهن، وأخذ الناس يبايعون على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية (٦٢)، وكانت النتائج النهائية لهذه الواقعة المأساوية:

أولا - إبادة من حضر من البدرين بالكامل.

ثانيا - أبيد من قريش ومن الأنصار سبعمئة رجل.

ثالثا - أبيد من الموالي والعرب عشرة آلاف.

٢ - مواجهة الإمام الحسين.

لقد بايع الناس عمليا يزيد بن معاوية رغبة ورهبة، ولم يبايعه الإمام الحسين الذي انتقلت إليه الإمامة شرعا حسب أوامر رسول الله (ص). كان يزيد أكثر دموية من أبيه معاوية، ويكفي أن نعلم أن وقعة الحرة كانت من صنع يديه، وأنه أشرف بنفسه على هدم الكعبة المشرفة بعد حرقها، كل هذا وهو رسميا خليفة رسول الله!

لقد مات الشعور العام موتا تاما، ولم يعد بإمكان أحد أن يرفع رأسه، أو أن يقامر بعطائه الذي تقدمه له الدولة ما دام عبدا مطيعا لها، فإذا صار عبدا لله قطعت عنه العطاء وقتلته، وكان الناس يدركون ما وصلت إليه حالهم، ويعرفون أنهم يعيشون الهوان، لكنهم ما كانوا يجرؤون على التحرك، وكانوا يطمعون في أن يبرز فارس من عالم الغيب فيخلصهم دون أن يكلفهم عناء المواجهة مع فرعونهم. " إن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول له: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام " (٦٣)، لقد صار أهل

الشام رمزا للموت، وكان الاتكال على المجهول أمل الناس الوحيد. كانت تلك هي حال الخلافة وحال الأمة عندما فرض على الحسين أن يقود المواجهة. وكان الحسين وأهل بيت النبوة يعلمون جيدا أن عليهم في وقت يطول أو يقصر أن يبايعوا يزيد أو يموتوا، إذ كانوا على علم بتاريخ الخلافة وأسلوبها القمعي، فمن أجل البيعة، وبعد يوم واحد من وفاة النبي، أحضر أولياء أبي بكر الحطب والنار، ليحرقوا آل محمد، لأنهم رفضوا البيعة وقالوا، نحن أحق بالخلافة، ولأجل ذلك قال الحسين: " وأيم الله لو كنت في جحر هامة* من هذه الهوام، لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم " (٦٤)، وقال أيضا: " والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإن فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم، حتى يكونوا أذل من فرم** * " (٦٥).

إن خيارات الحسين وأهل البيت كانت محددة تماما، فأما أن يبايعوا عدو الله وهم أذلة، وأما أن يتعرضوا للقتل.

من يعرف طبيعة الإمام الحسين، وطبيعة أهل البيت يتيقن أن مبايعتهم ليزيد بن معاوية مستحيلة، ذلك أن الذين يرضون بالذل والهوان هم الذين يخشون الموت، فلأجل النجاة من الموت يعطون الدنية وهم سعداء، وليس الحسين وأهل البيت من هذا النمط، بل إن الموت عندهم فوز وسعادة، وقد صرح الحسين بذلك علنا إذ قال: " إلا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا، فإني لا أرى الموت إلا

* جحر الهامة هو الشق الذي تختفي فيه الحية أو العقرب.
(***) الغرم: الخرقعة التي تضعها المرأة على فرجها عند الحيض.

سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما " (٦٦).
لو ركع الأكثرية واستسلموا لما أثاروا عجبا، فطوال تاريخ البشرية وجدت أمم
تركع للطغاة وتعبدتهم من دون الله، ووجدت شعوب مستضعفة
مغلوبة على أمرها، ولكن التاريخ لن يسجل بحال أن الحسين وأهل البيت قد
استسلموا لأنهم جزعوا من الموت، أو يقول: إن حفيد النبي، وابن علي، وحبیب
الزهراء، وإمام الأمة، قد هان أمام الظالمين، وهيهات له أن يسجل أن أحفاد
شيخ قريش أبي طالب، وأبناء سيد العرب علي، قد تركوا عميدهم الحسين يموت
وحده.

لقد ودع الحسين وأهل البيت أباهم رسول الله، وخرج ركبهم لملاقاة
الظالمين، ورمقته الجموع الذليلة بإشفاق ومحبة، وهي على علم بأن مصير الحسين
وأهل بيت النبوة هو القتل، ومع هذا لم تقدم هذه الجموع ولم تؤخر، بل بقيت
راتعة في مرعاها، تنتظر جزارها ليختار ذبائحه في أي وقت يشاء.
تحرك ركب الحسين من المدينة إلى مكة، ومنها توجه إلى العراق، قال له
العراقيون إنهم معه، وبايع مسلم بن عقيل ١٨ ألفا منهم، ولكن عندما جد الجد،
تخلوا عن مسلم، ولم يجد في الكوفة بيتا واحدا يؤيه، أو رجلا يستضيفه،
إلا امرأة، ولما علم ابنها بوجود مسلم، انطلق يخبر عبيد الله بن زياد طمعا بالمكافأة.
وتهادى ركب الحسين إلى كربلاء ومعه أهل بيت النبوة، صغيرهم وكبيرهم،
ذكرهم وأنثاهم، وكان عدد الركب مئة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا.
وفي كربلاء كان جيش يزيد ينتظرهم، وقوامه ألف أو أربعة آلاف، أو
ثلاثون ألفا، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص يقود ذلك الجيش الذي جاء خصيصا
لذبح الحسين ومن معه من أهل بيت النبوة.
قام جيش يزيد بمحاصرة الإمام الحسين ومن معه، ومنعواهم من ماء الفرات،

وهم يعلمون أن مع الحسين أطفالا رضعا ونساء وصغارا بحاجة إلى الماء، فقاسى الحسين ومن معه من حر الصحراء اللافح، ومن العطش الشديد، وفي هذا الجو الأليم نشب القتال غير المتكافئ.

وانتهت الغارة بإبادة أهل البيت، ولم يبق منهم غير الإمام علي بن الحسين الذي كان مريضا لا يقوى على الحركة والقتال، وقطعت رؤوس القتلى، وحملت إلى يزيد على رؤوس الرماح، واقتيدت بنات الرسول سبايا إلى يزيد بن معاوية، ليقضي فيهن بأمره.

وكان الأثر العظيم لشهادة الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه، هو فضح الخليفة ونظامه، وإيقاظ ضمير الأمة، ذلك أن وسائل إعلام دولة الخلافة التاريخية كرسّت كل جهودها وطاقاتها لإقناع الناس بأن الخليفة إنسان مقدس، بل بالغت في ذلك حتى أشاعت بين الناس أن الخليفة أعظم من الرسول نفسه، وأن أمر السماوات والأرض قائم على نظام الخليفة والخلافة، وأن من عادى الخليفة صار كافرا، ومن والاه صار مؤمنا (٦٧)، وأنه يجب على المسلمين إطاعة الخليفة

عصى الله أم أطاعه، عمل بالعدل أو مارس الظلم والجور، فسق أو استقام، أعمل الحدود أم عطّلها، فهو حر يعصي الله لحكمة، ويعطل الحدود لحكمة، ويمارس الجور لحكمة، ويقتل النفس التي حرم الله لحكمة، ويغصب الأموال لحكمة، فلا يجوز الخروج عليه مهما فعل، وتجب طاعته على كمال حال (٦٨). وكادت الأمة أن تصدق أن نظام الخلافة التاريخي هو نظام الإسلام، وأن الخليفة التاريخي هو صفوة الأمة، وهو أهل للقداسة، فجاءت ثورة الحسين، ومذبحة كربلاء، لتفضح كل هذا الزيف، وتظهر الخليفة على حقيقته البشعة، وتعري نظام الخلافة وتكشف عن صورته المخالفة للدين والعقل.

لقد سمع أهل الدنيا بأنباء مذبحة كربلاء، وكيف أن الخليفة جهز جيشا ضخما لحرب رجل واحد هو الحسين بن الرسول، ومعه أهل بيته وموالوه، وكيف قتلهم

شر قتله، وأمر أن تداس جثثهم بسنابك الخيل، وأخذ بنات النبي سبايا يدار بهن من بلد إلى بلد، فمرغ الخليفة بذلك شرف العسكرية الإسلامية بالوحل، وظهر على حقيقته سفاكا ومجرما لا خلاق له. وقد صدمت مجزرة كربلاء ضمير الأمة وأيقظته، وهزت كيائها من الأعماق، فاستفاقت من رقدتها، لتجالد عدوها، وأحيت فيها روح التضحية والفداء، وتمخض عن ذلك ثورات متلاحقة على الظالمين، منها: ثورة التوابين (٦٩)، وثورة أهل المدينة (٧٠)، وثورة المطرف بن المغيرة (٧١)، وثورة ابن الأشعث، وثورة زيد بن علي (٧٢).

٣ - مواجهة التسعة المعصومين من أبناء الحسين.

أولا - الإمام علي بن الحسين زين العابدين.

عندما ولد علي بن الحسين، سجد الإمام علي شكرا لله، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: " أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون " (٧٣).

تربى الإمام زين العابدين في مدرسة الرسالة والنبوة، وانتهى إليه علم النبوة كله، وتوفرت فيه كل صفات الأئمة، فكان الأعلم والأفهم بالدين، والأكثر إحاطة بسنة سيد المرسلين، والأقرب لرسول الله، والأصلح من أهل زمانه.

انتقلت إليه الإمامة بعد شهادة أبيه الحسين، وقد شهد مذبحة كربلاء، وكان مريضا لا يقوى على الحركة، ورافق السبايا من بنات الرسول إلى دمشق، ثم عاد إلى المدينة، وقلبه الشريف مثخن بالجراح النازفة، وحزنه على أبيه وأهل بيته يجري في عروقه جريان الدم، لقد بكى عليهم عشرين عاما، فما وضع بين يديه طعام حتى بكى، قال

له أحد مواليه يوما: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فأجابه الإمام: ويحك، إن

يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابنا، فغيب الله واحدا منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيا في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين، فكيف ينقضي حزني (٧٤).

لم تكن ظروف الإمام زين العابدين تمكنه من المواجهة العسكرية للظالمين، فاتخذ من الدعاء وسيلة لتربية الأمة روحيا وعقائديا، فإذا جاءه مشهد هداة، وإذا استعلمه متعلم علمه، وإن أتحت له فرصة قرع الناس الذين خذلوا أباه. طبقت سمعة الإمام الآفاق، وملاأت أخباره الأسماع والقلوب، وقصده طلاب العلم لينهلوا من علم النبوة، فانتشر علمه، وتخرج على يديه كوادر علمية من شيعة أهل بيت النبوة، ساهمت بترسيخ عدالة قضية أهل البيت وارتباطها الوثيق بدين الإسلام.

ولما خرج عبد الله بن الزبير على الأمويين، واستولى على الحجاز فترة، وكان يحقد على آل محمد، أراد أن يستأصلهم من الوجود، فأحضر بني هاشم، وجمع حطبا،

وصمم على أن يحرقهم جميعا أحياء، ولولا نجدة جاءتهم لأحرقهم فعلا، وأثناء تسلطه على الحجاز عكر صفو آل محمد عامة، والإمام زين العابدين خاصة، ولو استتب الحكم

له لنكل بأهل بيت النبوة، ولكن الأمويين هزموه.

ولما انتصر الأمويون هالتهم المكانة التي يحتلها الإمام زين العابدين من قلوب الناس، فأوجسوا منه خيفة، وتأججت نيران حقدهم عليه، فدس له الحاكم الأموي سليمان بن عبد الملك السم، فقتله، وبذلك انتهت حياة هذا الإمام، الذي أثار عواطف المسلمين بحزنه العظيم، وأدعيته المباركة، وعلمه النافع، وخلق فيهم إحساسا عميقا بالذنب، وشعورا فائقا بالإثم، ونبههم إلى الظلم الفظيع الذي لحق بأهل بيت النبوة.

ثانيا - الإمام محمد بن علي الباقر.
هو خامس الأئمة المعصومين، أشار له الإمام علي بن أبي طالب في وصيته،
وكلف عليا بن الحسين أن يعهد له بالإمامة بناء على أمر رسول الله صلى الله عليه
وآله، وأن يقرأه
السلام من رسول الله ومنه.

لقب بالباقر لأنه بقر العلوم كلها، قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت
العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر.
وقال أبو الفداء إسماعيل بن كثير: أبو جعفر الباقر أحد أعلام هذه الأمة،
علما وعملا وسيادة وشرفا، وسمي الباقر لبقره العلم (٧٥).
كان الإمام الباقر موقنا بأنه إمام الأمة وحاكمها الشرعي، وأن الحكام الفعليين
غاصبون للسلطة، ولكن مطالبته بحقه الشرعي في تلك الظروف، وفي ضوء تجارب
آبائه، كانت بمثابة انتحار، لذلك كرس كل جهوده لاستقطاب المسلمين حول
تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، وبني كوادر مثقفة لتعليم الأجيال اللاحقة،
إدراكا منه لأن تكوين الأمة الواعية المحصنة ضد الانحراف، خطوة متقدمة على
الوصول إلى السلطة.

وأدركت دولة الخلافة خطورة النشاط الذي يمارسه عليها، فلجأت إلى
سلاحها القدر للتخلص منه، ففضى مسموما، والتحق بالرفيق الأعلى عام ١١٤ هـ.
ثالثا - جعفر بن محمد الصادق.

عهد الإمام الباقر لابنه جعفر الصادق بالإمامة، عملا بتوجيهات رسول
الله صلى الله عليه وآله، وللعلماء أقوال في الإمام الصادق تبين عظيم منزلته، منها:
قول المؤرخ اليعقوبي: أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل
العلم الذين سمعوا منه قالوا: أخبرنا العالم (٧٦).

قول مالك بن أنس: ما رأيت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلمًا وعبادة وورعًا (٧٧).
قول أبي الفتح الشهرستاني: هو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات (٧٨).
قول أبي ليلى: ما كنت تاركًا قولًا قتلته، أو قضاء قضيته لقول أحد إلا رجلاً واحداً ألا وهو جعفر بن محمد (٧٩).

ركز الإمام الصادق جهوده على نشر العلم، حتى روى عنه أربعة آلاف رجل من الثقات، وأولى عناية خاصة للموالين لأهل البيت المعتقدين بإمامتهم، ونظم أمورهم تنظيمًا دقيقًا، حتى نسب الشيعة إليه، ف قيل: مذهب الإمام الصادق. وفي عهده ظهر الملاحدة والزنادقة، وجواسيس الدولة المتسترين بالولاء لأهل البيت والغلو في حب الأئمة، فدرّب الإمام مجموعة من تلامذته على الفلسفة والجدل والمناظرة للدفاع عن عقيدة التوحيد، ولبيان حقيقة ما يدعو إليه أهل بيت النبوة.

قال سدير: قلت لأبي عبد الله: إن قوماً (جواسيس الدولة) يزعمون أنكم آلهة، يتلون علينا بذلك قرآنا: " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ". فقال الإمام الصادق: يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبراء الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم (٨٠).
كان الإمام الصادق يتعاطف مع الثائرين على السلطة في وقته، ولكنه لم يتورط في المشاركة الفعلية مع أية جماعة منهم، وكان يخبر كل جماعة مسبقًا بنتائج تحركهم، جاءه عبد الله بن الحسن وقال له: إن القوم يريدون ابني محمداً،

لأنه مهدي هذه الأمة، فأجابه الصادق: والله ما هو مهدي هذه الأمة،
ولئن شهر سيفه ليقتلن، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله ما يمنعك
من ذلك إلا الحسد، فقال الإمام: والله ما هذا إلا نصح مني لك " (٨١)، أي
أن الرؤية كانت واضحة تماما لدى الإمام.
استشهد الإمام الصادق مسموما بتدبير من السلطة العباسية.
رابعا - الأئمة الستة: موسى بن جعفر الكاظم، علي بن موسى الرضا،
محمد بن علي الجواد، علي بن محمد الهادي، الحسن بن علي العسكري، الإمام
المنتظر
محمد بن الحسن المهدي.

كل واحد من هؤلاء الأئمة الكرام صار إماما بعهد ممن سبقه.
كان هؤلاء الأئمة على قناعة كاملة بأن بناء الأمة أولى من الوصول
إلى الحكم، بعد أن شاهدوا انحراف الكثيرين عن الحق، حتى أصبحوا أداة طيعة
بيد الطغاة، وكرة يتقاذفها الظالمون، ولذلك صب هؤلاء الأئمة جهودهم
في مجال التعليم والتوعية.
والواقع إن هذه القناعة كانت موجودة لدى الأئمة السابقين أيضا،
فالإمام علي استلم الخلافة وهو يعلم أن الأمويين سيغلبون، لأن دولتهم كانت
قائمة ومستحكمة، ومعظم أفراد المجتمع مطعم بأمصالحهم القذرة، وأن أكثرية
الأمة مقبلة على الدنيا وحدها، وما إقبالها على الدين إلا لأنه صار وسيلة
للدنيا، ولكن كان يتعذر على الإمام علي أن يترك مقاومة الانحراف والفساد والخروج
على الشرعية ما دام يجد أعوانا، لذلك قام بمقارعة الطغاة حتى استشهد.
وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسن، ولأجل ذلك قارع معاوية حتى انفض
من حوله الأعوان، فوادع معاوية، إبقاء منه على من معه من القلة المؤمنة، ومن

أهل بيت النبوة.
وخروج الحسين لم يكن طمعا في الخلافة، فقد كان موقنا بأنه سيلاقي ربه
قبل أن يدرك ذلك، وإنما خرج لكي يزيح القناع الذي تستر به الظالمون،
وليكشف طبيعة الأوضاع التي آلت إليها الخلافة، وليحدث هزة في ضمير الأمة
التي أخلدت إلى الخضوع والخنوع، ويمدها بجذوة معنوية للتحرك ضد الظالمين.
وعلى الرغم من الحصار والتضييق والرقابة الشديدة التي تعرض لها كل
الأئمة من آل البيت، إلا أنهم واصلوا العمل الدؤوب، لإعادة بناء الأمة
فكريا، وتحسينها ضد الانحراف والأعيب الحكام، ومضوا قدما بتنظيم أتباعهم
وتنميتهم عدديا ونوعيا، وتجنبيهم المواجهة مع السلطة حتى لا تقضي عليهم،
وحتى لا يصطدموا بها قبل الوقت المحدد الذي يكتمل فيه بناء الأمة، لأنه
إذا اكتمل بناء الأمة يسقط الطغاة آليا، إذ لا يبقى لهم مؤيد ومعين،
عندئذ يضطرون للعودة إلى طبيعتهم، فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر،
وقد تعرض الأئمة لملاحقة السلطة وبطشها، فأبعدت الإمام الرضا
إلى طوس، وأودعت الإمام الكاظم مطامير السجون طيلة أربعة عشر عاما، وقضت
عليهم بالسم، حتى وصل الضغط إلى درجة اضطر معها الإمام الثاني عشر
إلى الغيبة، ليظهر في آخر الزمان، ويملا الأرض قسطا وعدلا بعدما
ملئت ظلما وجورا، نسأل الله أن يعجل فرجه، ويجعلنا من أنصاره،
والحمد لله رب العالمين،

* هوامش الباب الخامس:

- ١ - مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٥٣.
- ٢ - الإمامة والسياسة ١ / ١٢.
- ٣ - تاريخ الطبري ٥ / ٣٣، الإمامة والسياسة ١ / ٢٢.
- ٤ - العقد الفريد ١ / ٢٤٩، شرح نهج البلاغة ١ / ٣٠٦.
- ٥ - الكامل في التاريخ ٢ / ٣٥.
- ٦ - أعلام النساء ٢ / ٧٨٦، الإمامة والسياسة ١ / ٢٢، العقد الفريد ٤ / ٢٧٤.
- ٧ - شرح نهج البلاغة ٣ / ٣٥١.
- ٨ - الإمامة والسياسة ١ / ٢٢، أعلام النساء ٢ / ٧٨٦.
- ٩ - أنساب الأشراف ٥ / ١٦.
- ١٠ - الرياض النضرة للطبري ٢ / ٧٤.
- ١١ - أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ١٨.
- ١٢ - ١٣ - الكامل في التاريخ /.
- ١٤ - العقد الفريد ١ / ٢٦٠.
- ١٥ - تجارب الأمم لابن مسكويه ١ / ٢٦٥.
- ١٦ - أنساب الأشراف ٥ / ٢٧.
- ١٧ - المستدرك للحاكم ٤ / ٤٨١، السيرة الحلبية ١ / ٣٣٧، أنساب الأشراف ٥ / ١٢٦، جمع الجوامع للسيوطي ٦ / ٩٠.
- ١٨ - المستدرك للحاكم ٤ / ٤٨١، تفسير القرطبي ١٦ / ١٩٧، تفسير الزمخشري ٣ / ٩٨، تفسير ابن كثير ٤ / ١٥٩، تفسير الرازي ٧ / ٤٩١، أسد الغابة ٢ / ٣٤، النهاية لابن الأثير ٣ / ٢٣، شرح نهج البلاغة ٢ / ٥٥.

- تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٢٦ / ١٣، الإجابة للزرکشي ص ١٤١،
الصواعق المحرقة ص ١٠٨، إرشاد الساري ٧ / ٣٢٥، تاج العروس ٥ / ٦٩.
- ١٩ - السيرة الحلبية ١ / ٣٣٧، الدر المنثور ٤ / ١٩١، تفسير الشوکاني
٣ / ٢٣١، تفسير الآلوسي ١٥ / ١٠٧.
- ٢٠ - تفسير الطبري ١٥ / ٧٧، تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٦، مستدرک الحاکم ٤ /
٤٨،
- تاريخ بغداد ٨ / ٢٨، تفسير القرطبي ١٠ / ٢٨٣، النزاع والتخاصم للمقريزي ص
٥١،
- أسد الغابة ٣ / ١٤، الصواعق المحرقة ص ١٤٨، الدر المنثور ٤ / ١٩١،
کنز العمال ٦ / ٩٠، تفسير الشوکاني ٣ / ٢٣٠، تفسير الآلوسي ١٥ / ١٠٧.
- ٢١ - المستدرک للحاکم ٤ / ٤٨٧.
- ٢٢ - کنز العمال ٦ / ٣٩، المستدرک ٤ / ٤٧٩.
- ٢٣ - کنز العمال ٦ / ٩١.
- ٢٤ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١.
- ٢٥ - العقد الفريد ١ / ٢٤٩، شرح نهج البلاغة ١ / ٣٠٦.
- ٢٦ - المعارف لابن قتيبة ص ٨٤، العقد الفريد ٢ / ٢٦١، محاضرات الأدباء للراغب
الأصفهاني
٢ / ٢١٢.
- ٢٧ - المستدرک للحاکم ٤ / ٤٧٩.
- ٢٨ - أنساب الأشراف ٥ / ١٢٦.
- ٢٩ - تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٧.
- ٣٠ - الصواعق المحرقة ص ١٤٤.
- ٣١ - المعارف لابن قتيبة ص ٨٤، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨، أنساب الأشراف ٥ /
٣٨،
- العقد الفريد ٢ / ٦١، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨، طبقات ابن سعد ٣ / ٤٤.

- ٣٢ - أنساب الأشراف ٥ / ٥٢ .
- ٣٣ - الطبقات لابن سعد ٥ / ٢١ ، ٦ / ١٣٥ .
- ٣٤ - ٣٥ - طبقات ابن سعد ١ / ١٨١ .
- ٣٦ - سيرة ابن هشام ٢ / ٢٥ .
- ٣٧ - الغدير للأميني ٨ / ٣١٩ .
- ٣٨ - تفسير الطبري ١٩ / ١٦ ، تفسير البيضاوي ٢ / ١٦١ ، تفسير القرطبي ١٢ / ٢٥ ،
- تفسير الزمخشري ٢ / ٣٢٦ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٧ ، الإمتاع للمقريزي ص ٦١ ، الدر المنثور للسيوطي / ، تفسير الخازن ٣ / ٣٦٥ ، تفسير الشوكاني ٤ / ٧٢ .
- ٣٩ - شواهد التنزيل للحسكاني ١ / ٤٤٥ ، المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٢ ، تفسير القرطبي ١٤ / ١٠٥ ، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٢٥٥ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦٢ ، أحكام القرآن لابن عربي ٣ / ١٤٨٩ ، المناقب للخوارزمي ص ١٩٧ ، شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٣ .
- ٤٠ - الحجرات - من الآية ٦ .
- ٤١ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤ / ١٧٩ .
- ٤٢ - العقد الفريد ٢ / ٢٦١ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، شرح نهج البلاغة ١ / ٦٦ .
- ٤٣ - الإستيعاب لابن عبد البر ٢ / ٦٩٠ .
- ٤٤ - أنساب الأشراف ٥ / ٤٩ ، تفسير القرطبي ٧ / ٤٠ ، تفسير البيضاوي ١ / ٣٩١ ،
- الكشاف للزمخشري ١ / ٤٦١ ، تفسير الرازي ٤ / ٩٦ ، تفسير الخازن ٢ / ٣٧ ،

- تفسير النفسي بهامش الخازن ٢ / ٣٧، تفسير الشوكاني ٢ / ١٣٣ .
- ٤٥ - سنن أبي داود ٢ / ٢٢٠، أنساب الأشراف ٥ / ٤٩، مستدرك
الحاكم ٣ / ١٠٠، الإستيعاب لابن عبد البر ١ / ٣٨١، تفسير القرطبي
٧ / ٤٠، أسد الغابة ١ / ١٧٣، الإصابة لابن حجر ٢ / ٣١٧، تفسير الشوكاني ٢ /
١٣٤ .
- ٤٦ - تاريخ الطبري ٥ / ١٥٣، كنز العمال ٣ / ١٦١ .
- ٤٧ - أنساب الأشراف ٥ / ٧٠، تاريخ الطبري ٥ / ١٥٣ .
- ٤٨ - صفين لنصر بن مزاحم ص ٥١١، الإمامة والسياسة ١ / ٩٤، جمهرة الخطب ١
/ ١٩٠ .
- شرح نهج البلاغة ١ / ٢٩٨ .
- ٤٩ - الإستيعاب بهامش الإصابة ٢ / ١٩٢، شرح نهج البلاغة ٢ / ٧٧،
٦ / ٢١٥، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، تذكرة الخواص ص ٦١، تاريخ الطبري
٤ / ٤٠٧، ٤٥٩، ٤٦٥، الكامل في التاريخ ٢ / ٢٠٦، تاج العروس
٨ / ١٤١، لسان العرب ١٤ / ١٩٣، الإمامة والسياسة ١ / ٤٣،
العقد الفريد ٤ / ٢٠٦، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٥، أنساب الأشراف ٥ / ٧٠،
تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧٢ .
- ٥٠ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٦٤ .
- ٥١ - تفسير الطبري ١٠ / ٢٦٢، تاريخ ابن عساكر ٦ / ٣٩٣، تفسير الخازن
٢ / ٢١٨، تفسير الألويسي ١٠ / ٥٩ .
- ٥٢ - مروج الذهب ٣ / ١٤، وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢١٧ .
- ٥٣ - وقعة صفين ص ٤٩٥، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٣ .
- ٥٤ - تاريخ الطبري ٦ / ٧٧، الكامل في التاريخ ٣ / ١٦٢، تاريخ ابن عساكر ٣ /
٢٢٢ .
- الإستيعاب ١ / ٦٥، تاريخ ابن كثير ٧ / ٣١٩، الغدير للأميني ١١ / ٣٤ .

- ٥٥ - شرح نهج البلاغة /، شرح الخطبة ١٨٢.
- ٥٦ - إعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ص ٣٠٧، كشف الغمة ٢ / ١٥٨،
من لا يحضره الفقيه /.
- ٥٧ - إعلام الوري للطبرسي ص ٣٠٨.
- ٥٨ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٦١، سيرة الرسول وأهل بيته ٢ /
٣٠.
- ٥٩ - سيرة الرسول وأهل بيته ٢ / ٣١.
- ٦٠ - فتوح أعثم ٤ / ١٦١.
- ٦١ - مروج الذهب ٢ / ٥٠، مقاتل الطالبين ص ٢٩، شرح نهج البلاغة ٤ / ١١.
- ٦٢ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٠.
- ٦٣ - تاريخ الطبري ٥ / ٣٧١.
- ٦٤ - تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٩، الطبقات لابن سعد الحديث ٢٧٨، تاريخ ابن
كثير ٨ / ١٦٩، الكامل في التاريخ ٤ / ٣٨.
- ٦٥ - الكامل في التاريخ ٤ / ٣٩.
- ٦٦ - مقتل الحسين لابن طاووس ص ٣٢.
- ٦٧ - سنن أبي داود ٤ / ٢٠٩، مروج الذهب ٣ / ١٤٧، العقد الفريد
٢ / ٥١، ٥ / ٥٢.
- ٦٨ - صحيح مسلم ٢ / ٤٢٩، ٦ / ٢٠، صحيح مسلم بشرح النووي ٨ / ١٥٨،
سنن البيهقي /، التمهيد للباقلاني /.
- ٦٩ - تاريخ الطبري ٤ / ٤٢٦.
- ٧٠ - تاريخ الطبري ٤ / ٣٦٦.
- ٧١ - تاريخ الطبري ٤ / ٤٢٤.

- ٧٢ - مقاتل الطالبين ص ١٣٩ .
- ٧٣ - كفاية الأثر ص ١٩ ، ينايع المودة للقندوزي ٢ / ٤٤٥ .
- ٧٤ - حلية الأولياء لأبي نعيم ٣ / ١٣٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ / ١٦٥ .
- ٧٥ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢ / ٤٣٦ - ٤٣٧ .
- ٧٦ - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٨١ .
- ٧٧ - المناقب لابن شهر آشوب / .
- ٧٨ - الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٤٧ .
- ٧٩ - أعيان الشيعة ١ / ٦٦٤ ، الإمام الصادق لعبد الحميد الجندي ص ١٦١ .
- ٨٠ - الكافي للكليني ١ / ٢٦٩ .
- ٨١ - مروج الذهب للمسعودي / .